

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف -

كلية الآداب والفنون

قسم الأدب العربي



محاضرات في الأدب المقارن

مطبوع بيد اغوجي موجه لطلبة السنة الثانية ليسانس

شعبة الدراسات الأدبية

إعداد دكتور:

معمر عفاص

السنة الجامعية: 2023-2024

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف -

كلية الآداب والفنون

قسم الأدب العربي



محاضرات في الأدب المقارن

مطبوع بيد اغوجي موجه لطلبة السنة الثانية ليسانس

شعبة الدراسات الأدبية

إعداد دكتور:

معمر عفاص

السنة الجامعية: 2023-2024

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ (125) وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ
صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (126) وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا
تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (127) إِنَّ اللَّهَ مَعَ
الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (128) .

(سورة النحل: 125-128) .

مقدمة

يستوجب علينا فتح مغاليق بعض الإشارات التي على أساسها نفتح المجال واسعاً في خوض البحث في متاهة الأدب المقارن منها:

أولاً: يتفق الدارسون على أن الأدب المقارن (littérature comparée) من الاختصاصات المستحدثة، مهمته إبراز المشترك ما بين أثر من مكتوب على نحو دراسة لأوجه التأثير والتأثير ما بين آداب الأمم.

ثانياً: يتضمن المصطلح المسكوت عنه، فالآداب لا تقوم وحدها بالمقارنة، لهذا يرى أصحاب الاختصاص أن هذا المفهوم يشكل مرجعية تحدد طبيعة المدرسة التي ينتمي إليها المقارن، وهذه المصطلحات هي: علم/ تاريخ/ نقد/ نظرية في الأدب

ثالثاً: همّ الأدب المقارن وإن تقاسم مع حقول بحث محاذية كالنقد العام التحري والمتابعة لحركية المبدع والإبداع، فإنه خلاف سليله النقد يصر على حصر ومحاصرة مهمته في تصيد الأصول المصدرية- الأجنبية منها تحديداً- والتي تكون قد أسهمت في تشكيل خلفية النص.

غير أن هذه النقاط التي تشكل أرضية الاختلاف، (المفهوم/ المصطلح/ المنهج/ مجال الاشتغال). لا تقلل البتة من الدور المعرفي المهم لهذا الحقل الذي يسعى لدراسة العلاقة بين الآداب القومية المختلفة، وتبيان طبيعتها وتجلياتها على مستويات واسعة أو ضيقة، سطحية أو عميقة، قد تبدأ بين أدب وأدب أو بين مختلف الأشكال التعبيرية المختلفة، وأكثر تحديداً العلاقة بين نصين أدبيين.

فالدرس المقارن لم يعد يحتاج إلى مروجين ووسطاء في وقت العولمة، بقدر ما هو بحاجة إلى التخلي عن وهم غربية المقارنة وشرقية استهلاكها، فترتب علينا رسم خطة لهذا المطبوع وذلك بالتطرق إلى إشكالية جوهرية وهي: هل توجد مدرسة عربية مقارنة؟ أم جل الدراسات ليست سوى رجع لصدى النظرية الغربية؟ وعليه يكون من الضروري أن يفكر المقارنون العرب مجدية في مستقبل الأدب العربي وعلاقته بالآداب الأجنبية أو كما قال أستاذنا الدكتور ابن عبد الله الأخضر أنه لا زالت أقلام تتعاطى مع النظرية الغربية بضرب من النظرة المحافظة الاجترارية التي لا تقوى فكاكا من تصور موروث للأدب المقارن.

ونود التذكير أننا اعتمدنا في هذه المحاضرات على مجموعة من المصادر والمراجع باللغة العربية ومنها: ما كتبه الدكتور محمد غنيمي هلال من خلال مؤلفه الأدب المقارن مع التفاتة إلى المصادر الأخرى، منها كتب: سعيد علوش، ومراجع أجنبية، ومراجع مترجمة لكل من: فان تيغم، تين، سانت بوف... الخ

الأهداف العامة من هذا المقرر:

الهدف من هذه الدروس أعزائي الطلبة أن تجعلكم قادرين متحكمين في عملية التفريق بين المدارس النقدية من خلال الرؤية العالمية الهادفة ومنه أيضا:

- تتبعكم الجاد لنشأة وتطور الأدب المقارن التاريخية.
- فهمكم الوضعية الاستمولوجية لهذا العلم والصعوبات التي عاناها المختصون في هذا المجال.

- التعرف على المصطلحات المستخدمة في التطبيقات المقارنة عند دراسة النصوص ومقاربتها من منظور المنهج المقارن.

- التمييز بين مدارس الأدب المقارن والتعرف على الفوارق بينها في مجال المقارنة خصوصا: (الفرنسية / الأمريكية / السلافية / العربية).

وقد وجه هذا المقرر للشعبة الأدبية من خلال مقدار حصة في الأسبوع في حدود الساعة ونصف محاولين أن نغطي هذه المادة الدراسية على الصعيدين النظري والتطبيقي:

تناولنا في الوحدة الأولى:

النشأة التاريخية للأدب المقارن (ميلاد الدراسات المقارنة في فرنسا ونتحدث عن العوامل التي مهدت لظهور المصطلح، ثم مراحل التطور التاريخي، ونوسع في عرض معالم النشأة في الولايات المتحدة الأمريكية ثم في الاتحاد السوفياتي وأوروبا الشرقية (سابقا) أو ما يعرف بمدارس الأدب المقارن.

وأما الوحدة الثانية فقد ورد فيها:

إشكاليات ومفاهيم تاريخية في الأدب المقارن تسعى لإيضاح مصطلحات مهمة ارتبطت بظروف النشأة التاريخية أو انبثقت عنها وهذه المصطلحات هي:

العالمية / الانفتاح / الانغلاق / التبعية / التعددية / الكوزموبوليتية / الآخر / الثقافة... وإنه لجدير بكم أن تتفقوا معي أن المعرفة العلمية معرفة اصطلاحية في المحصلة النهائية، وأن الجهل بالمصطلح تعريفا وتحديدا يقود إلى ارتباك واضطراب على الصعيد المعرفي.

ولم يعد من الممكن تغطية هذه المجالات جميعها تحت مصطلح الدرس الأدبي المقارن في صفحات معدودة تجمع بين النظرة والمنهج والتطبيق وبخاصة إذا كان هذا الحديث موجهاً إلى طلبة يسمعون المصطلح لأول مرة، وفي الوقت نفسه لا يتمتعون - لسبب أو آخر - بحس مقارن أو خلفية معرفية واسعة نسبياً تمكنهم من استيعاب هذا المبحث الجديد. ولسنا نقصد من هذا المطبوع بحثاً علمياً في جانب من جوانب الأدب المقارن، وإنما هو مجموعة من المحاضرات التي خصصت لطلاب المستوى الثاني الشعبة الأدبية بقسم الأدب العربي ترمي إلى توضيح الملامح الرئيسة لهذا العلم، وللمقارنة بوصفها أحد الأبعاد المعرفية التي لا يمكن الاستغناء عنها.

{فهرس المحاضرات}

الرقم	عنــــــــــــــــوان المحاضــــــــــــــــرة
1	نشأة الأدب المقارن (الجذور والاصطلاح)
2	عوامل نشأة الدرس المقارن في فرنسا
3	أرضية معرفية لمفهوم الأدب المقارن
4	المدرسة الفرنسية وسلطة الوعي القومي (المنهج التاريخي)
5	الأزمة وإرهاصات المدرسة الأمريكية
6	المدرسة السلافية وسلطة الوعي الاجتماعي (المنهج السوسولوجي)
7	الأدب المقارن والأدب العام
8	مفاهيم التأثير والتأثير
9	خاتمة
10	بيبلوغرافيا شاملة في الأدب المقارن

المحاضرة الأولى

نشأة الأدب المقارن: البصير والاصطلاح

نشأة الأدب المقارن (الجذور والاصطلاح)

أعزائي الطلبة النبهاء تعالوا معي لمدارسة الوحدة الأولى من مقرر الأدب المقارن وهي وحدة تتحدث عن النشأة التاريخية للدرس المقارن في فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وروسيا، كما تحصر فيها حقيقة الأدب المقارن من النشأة والتطور مصطلح " الأدب المقارن.

أهداف الوحدة:

ما يتوقع منكم طلبتي الأعزاء بعد دراسة هذه الوحدة أن تصبحوا قادرين على:

1. تتبع مسار الولادة التاريخية للأدب المقارن في فرنسا
2. مساهمة مراحل تطوره في مدرجات الجامعة الفرنسية
3. درس انبثاق الأدب المقارن بتصور جديد عند المدرسة الأمريكية
4. تتبع نشأة الأدب المقارن عند المدرسة السلافية

القراءات المساعدة:

يمكنكم أعزائي الطلبة الرجوع إلى المصادر الآتية:

- 1- عبد الرزاق حميدة: في الأدب المقارن. مطبعة العلوم، القاهرة، 1948.
 - 2 - نجيب العقيقي: من الأدب المقارن. دار المعارف، القاهرة، 1948.
 - 3- إبراهيم سلامة : تيارات أدبية بين الشرق والغرب : خطة ودراسة في الأدب المقارن . المكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، 1951-1952
 - 4- محمد غنيمي هلال : الأدب المقارن . مطبعة مخيمر ، القاهرة ، 1953.
- وقد طُبع هذا الكتاب طبعة موسعة عام 1961 ، وجاء في (454 صفحة) ، وتوالت

طبعاته فيما بعد في كل من مصر ولبنان . وكانت آخر طبعاته في مصر عام 2001 نهضة مصر، وهي مأخوذة عن الطبعة الثالثة ، وجاءت في 380 صفحة.

5- محمد محمد البحيري : الأدب المقارن . دار الطباعة المحمدية بالأزهر، القاهرة، 1953.

6- جمال الدين الرمادي : فصول مقارنة بين أدبي الشرق والغرب. بغداد ، 1954.

7- محمد غنيمي هلال : دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب العربي المعاصر. دار نهضة مصر، القاهرة، 1956.

8- عبد السلام طاهر : نظرات جديدة في الأدب المقارن وبعض المساجلات الشعرية . مكة المكرمة.

1- النشأة التاريخية للأدب المقارن:

قبل الحديث في مجال التعريف والتحديد يستوجب علينا إيضاح أمرين اثنين:

الأول: اتفق الدارسون على أن مصطلح الأدب المقارن *littérature comparée* قاصر عن التعبير عن مدلولات الدراسات المقارنة وأبعادها، غير أن هذا الاتفاق بين الدارسين لم يفض إلى إيجاد البديل.

الثاني: المصطلح تضمن بالضرورة ما هو مسكوت عنه فالآداب لا تقوم وحدها بالمقارنة لهذا يرى كثير من الباحثين أن المصطلح مضمري يشكل مرجعية تحدد طبيعة المدرسة التي ينتمي إليها المقارن وهذه المصطلحات هي: علم/ تاريخ/ نقد / نظرية، فيكون تسمية هذا الحقل المعرفي علم الأدب المقارن كما هو الحال في اللغة الألمانية أو تاريخ الأدب المقارن

كما ترى المدرسة الفرنسية، أو النقد الأدبي المقارن كما ترى المدرسة الأمريكية أو نظرية الأدب المقارن التي تقف نقيضاً لرؤية العلم الصارمة وقوانينه المحددة. ومهما كان الأمر فإن الأدب المقارن يعني الدراسة التي تقوم بين أدبين أو أدبيين ينتميان إلى أدبين قوميين مختلفين.

2- مصطلح الأدب المقارن:

يُعدُّ مصطلح "الأدب المقارن" (comparative littérature) مصطلحاً خلافاً لأنه ضعيف الدلالة على المقصود منه. وقد نقده كثير من الباحثين ولكنهم في النهاية آثروا الاستمرار في استعماله نظراً لشيوعه. فمثلاً عدّه ([Paul Van Tieghem]) مصطلحاً غير دقيق، واقترح مصطلحات أخرى أقرب دلالة إلى موضوعه مثل: «تاريخ الأدب المقارن»، و «التاريخ الأدبي المقارن»، و «تاريخ المقارنة». واقترح ماريوس فرانسوا غويار M.F.Guyard مصطلحاً بديلاً هو «تاريخ العلاقات الأدبية الدولية». والملاحظ أن كلمة «تاريخ» هي المضافة في مختلف الاقتراحات البديلة، ذلك أن الأدب المقارن هو في الأصل تاريخ للعلاقات المتبادلة بين الآداب وللصلات والمشابهات المتجاوزة للحدود اللغوية والجغرافية، وفيما بعد أضيفت الحدود المعرفية¹.

وعلى أية حال يبدو أن افتقار المصطلح إلى الدقة كان له بعض فضل في الإبقاء على وحدة هذا النسق المعرفي وفي مقدرته على استيعاب مناطق معرفية جديدة، أخذت تدخل نطاقه بعد منتصف القرن العشرين.

¹ ينظر: محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب العربي المعاصر، دار النهضة للطباعة والنشر، (دت)، ص: 16.

وترجع نشأة الأدب المقارن إلى العقد الثالث من القرن التاسع عشر، وربما إلى سنة 1827 حين بدأ الفرنسي أبل فييمان Abel Villemain يلقي محاضرات في السوربون بباريس حول علاقات الأدب الفرنسي بالأدب الأوربية الأخرى. والجدير بالذكر أنه استعمل فيها مصطلح "الأدب المقارن" وإليه يعود الفضل في وضع الأسس الأولى لمنطقه ومنطقته، في وقت بدأ يشهد تصاعد اهتمام العلوم الإنسانية في أوروبا بالبعد المقارني في المعرفة، إذ نشأ "القانون المقارن" و"فقه اللغة المقارن" و"علم الاجتماع المقارن" وغيرها. وتعدُّ فرنسا المهد الأول للأدب المقارن، إذ استمرت تطوراتها بعد فيلمان، وكان لذلك عوامل لغوية وسياسية واجتماعية وثقافية متداخلة أدت إلى أن يكون الفرنسيون أول من تنبّه إلى قيمة التراث المشترك بينهم وبين المناطق الأوربية الأخرى، مما خلق الأساس الأول للتفكير المقارني. كما أنه صياغة أو خلق الابداع الفني.¹

وفي البدء كان التطور بطيئاً، فبعد فيليمان ظهر جان جاك أمبير Ampère وألقى في مرسيلية سنة 1830 محاضرات في الأدب المقارن ليلفت إليه الأنظار. وأتاحت له أن ينتقل بعد ذلك بسنتين إلى باريس ليلقي محاضرات حول علاقات الأدب الفرنسي بالأدب الأجنبية. وفي سنة 1835 ظهرت مقالات فيلاريت شال Chales على صفحات مجلة باريس مؤكدة العلاقات المتينة بين الآداب الأوربية.

وعند نهاية القرن التاسع عشر أخذت تتلاحق التطورات وظهر جوزيف تكست Texte في ليون 1896 وحاضر في الأدب الأوربي، وخلفه على منبر ليون فرنان بالدين سبنجر F.Baldenspenger الذي ألف كتابه "غوتة في فرنسا" سنة

¹ محمد رمضان الجري، الأدب المقارن، منشورات دار الهدى، ط1، فاليتا، مالطا، 2002، ص:14.

1904، ثم سُمي أستاذاً في السوربون حينما أحدث فيها كرسي للأدب المقارن سنة 1910. وظهرت بعد ذلك مجلات وفهارس وعرف الأدب المقارن طريقه إلى التطور النسقي منذ مطلع القرن العشرين. وإلى جانب فرنسا سجلت بعض البلدان الأوربية إسهاماً نسبياً في نشأة الأدب المقارن، وكانت إسهاماتها تتزايد مع تزايد نزعة «العالمية» في المعرفة ومع تزايد قوة الاتصالات والمواصلات في العالم. وقد ظهر أول كتاب في بريطانيا عن الأدب في أوربة بين عامي 183-1837 لهزري هالام، H.Hallam غير أن التطورات بعده كانت شديدة البطء.

وفي ألمانيا تأخر ظهور الأدب المقارن حتى ثمانينات القرن التاسع عشر، واشتهر من مؤسسيه: مورهوف K.D.Morhof وشميدت Schmidt كارييه M.Carrière ولم يدخل الأدب المقارن نطاق الدراسة المنظمة إلا بعد سنة 1887 بفضل ماكس كوخ Max Koch الذي أصدر مجلة "الأدب المقارن". ولكن دخول الأدب المقارن إلى مناهج الجامعة لقي معارضة شديدة وتأخر حتى مطلع القرن العشرين.

وكان الأديب الألماني الفذ "جوته" قد تبني مصطلح الأدب العالمي أو أدب العالم مؤسساً لوجهة النظر الألمانية وجذور الأدب المقارن لديهم "وحين أصبحت الدراسات المقارنة تأخذ طابعاً خاصاً تبنا مصطلح علم الأدب المقارن وهم يركزون على موضوعات الموروث الشعبي ونظرية الحقب الأدبية وحاولوا التمايز بهذه الدراسات عن المنهج الفرنسي، ونلاحظ انفتاحاً عالمياً ألمانياً وخاصة على الآداب الشرقية من قبل الكلاسيكيين الألمان تحت تأثير مصطلح "جوته".¹

¹ - ينظر: عز الدين المناصرة، مقدمة في نظرية المقارنة، دار الكرمل، عمان، 1988، ص: 20.

وتعرقل ظهور الأدب المقارن في إيطاليا بسبب حدة النزعة القومية. وفي عام 1861 أمكن إنشاء كرسي له في جامعة نابولي. ولكن كروتشه "B.Croce" تصدى للأدب المقارن وشنّ على أنصاره حملة قوية وحاول تسفيه منطقته، وبذلك كان له أثر في تاريخ تطور الدراسة المقارنة في إيطاليا بسبب ما كان يتمتع به من نفوذ فكري.¹

وإذا كانت نهاية القرن التاسع عشر قد شهدت تطور الأبحاث التطبيقية في الأدب المقارن وبدء الاعتراف به في الجامعات، فإن بداية القرن العشرين شهدت تأسيس الوعي النظري لمنهج الأدب المقارن. وقد تابعت فرنسا تطورها السباق فنشأت فيها كرايس جديدة للأدب المقارن في الجامعات. ومنذ سنة 1911 أخذ (فان تيجم) ينشر مقالات نظرية في المنهج المقارني. وفي عقد واحد تبلورت نظرتة إلى الأدب المقارن في مقالاته في مجلة "الأدب المقارن" ووصيفتها مجلة "مكتبة الأدب المقارن"، وتختلف آراء الأوروبيين وتحديداتهم لدائرة اهتمام تخصص الادب المقارن، ففي الوقت الذي يرى فيه "فان تيجم" وهو أحد رواد المدرسة الفرنسية للأدب المقارن أنه "دراسة آثار الآداب المختلفة من ناحية علاقاتها بعضها ببعض".²

فإن "جويار" الذي ينتمي للمدرسة الفرنسية ذاتها والذي أفاد من سلفه "فان تيجم" يعرف الأدب المقارن على أنه "تاريخ العلاقات الادبية الدولية فالباحث المقارن يقف عند الحدود اللغوية والقومية، ويراقب مبادلات الموضوعات والكتب والعواطف بين أدبين أو عدة آداب".³

¹ - رقية صالح، الأدب المقارن، منبر الآداب العالمية، <https://www.mnaabr.com/vb/showthread.php?t=3952>، في

يوم: 2024/01/16، في الساعة: 7:00 صباحا.

² - فان تيجم، الأدب المقارن، ترجمة دار الفكر العربي، القاهرة (د ت)، ص: 62.

³ - ماريوس فرانسوا جويار: الادب المقارن، ترجمة د. محمد غلاب، مطبعة لجنة البيان العربي، بيروت 1956، ص: 5.

وفي عام 1931 أصدر فان تيغم أول كتاب نظري عرفه العالم بعنوان "الأدب المقارن"، وظل هذا الكتاب مرجعاً أساسياً في بابهِ حتى اليوم، وترجم إلى عدد كبير من اللغات، ومنها اللغة العربية في منتصف القرن العشرين. وتتبع بعد ذلك المؤلفات الفرنسية في الأدب المقارن نظرية وتطبيقاً، ومن أشهرها كتاب غويار "الأدب المقارن" عام 1951 وترجم كذلك إلى العربية عام 1956. وبدءاً من هذا التاريخ أخذت تظهر في فرنسا تحديات لما يمكن تسميته بالنظرية الفرنسية التقليدية في الأدب المقارن، وكان أبرزها الهجوم الحاد الذي شنّه رنيه إيتيامبل R.Etiemble على فان تيغم وغويار، وظهر بعد ذلك في كتابه (الأزمة في الأدب المقارن).

وقد تعثر الأدب المقارن في الدول الأوروبية الأخرى ولم يصب تطوراً في بريطانيا ربما حتى تسعينات القرن العشرين وكذلك كان شأن ألمانيا وإيطاليا والاتحاد السوفيتي. وإن كان ملاحظاً أنه ابتداء من الستينات انتعش الأدب المقارن في القارة الأوروبية والعالم كله، وذلك مع ازدياد نشاط الرابطة الدولية للأدب المقارن AILC. وزاد من قوة هذا التطور النشاط الأمريكي المتسارع في مجال البحث المقارني وفي المؤتمرات الدولية، والحق أنه في سنوات معدودات حقق المقارنون الأمريكيون حضوراً مرموقاً في مختلف أوجه البحث المقارني مع أن الولايات المتحدة دخلت متأخرة نسبياً في حقل الأدب المقارن. ومن أجل استكمال الخريطة العامة لنشأة الأدب المقارن تحسن الإشارة إلى التواريخ الرئيسية التالية:¹

1889 تولى تشارلز جيبي C.M.Geyley تقديم مادة النقد الأدبي المقارن في جامعة ميشيغن، ثم انتقل إلى جامعة كاليفورنية وأنشأ عام 1902 قسماً للأدب المقارن.

¹ - محمد بن سعد آل حسين، الأدب المقارن، موقع الوراق، <http://www.alwaraq.net>، 15 2024، الساعة: 8:00.

1891-1890 أنشأت جامعة هارفرد أول كرسي للأدب المقارن في أمريكا، تحول عام 1904 إلى قسم كامل. وفي سنة 1946 تولى رئاسته هاري ليفين Harry Levin وأعاد النظر في برامجهم، وخلفه ولتر كايزر W.Kaiser.

وفي 1902 جرى إحياء كرسي قديم للأدب العام يعود إلى سنة 1886 في جامعة كورنل Cornell على يد كوبر الذي أصبح فيما بعد رئيساً لقسم كامل للأدب المقارن فيها من 1927 / 1943.

على أن دراسة الأدب المقارن في أمريكا ظلت حتى العشرينات مختلطة بـ "الأدب العام" و"أدب العالم" و"الروائع" و"الإنسانيات"¹. وفي الأربعينات بدأ يظهر تميزه في الجامعات وصاحب ذلك ظهور مجلات للأدب المقارن في عدة جامعات مثل أوريغون Oregon عام 1949. ومن أهم التطورات في هذا المجال صدور المجلد الأول من "الكتاب السنوي للأدب العام والمقارن Yearbook of General and Comparative Literature" وذلك عن جامعة (نورث كارولينا) عام 1952. وفي عام 1961 انتقلت إدارة الكتاب إلى جامعة إنديانا Indiana.

ومنذ الخمسينات بدأت تتوالى الكتب الجامعية في الأدب المقارن، وتسود فيها طريقة التأليف الجماعي أو الدراسات المجموعة، وتتنوع مادة هذه الكتب بين النظرية والتطبيق كما تتنوع وجهات النظر. ومن أبرز التطورات في تاريخ الأدب المقارن تأسيس الرابطة الدولية للأدب المقارن عام 1955. وتعد هذه الرابطة مؤتمراتها العامة كل ثلاث سنوات ولها نشاطات متنوعة، وقد عقد مؤتمرها الأول في البندقية بإيطاليا.

¹ - ينظر: محمد بن سعد آل حسين، الأدب المقارن، موقع الوراق، <http://www.alwaraq.net>، 15 2024، الساعة: 8:00.

ومنذ ذلك الحين انحصرت مؤتمراتها واجتماعاتها في العواصم الغربية، حتى عام 1991 عندما عقد مؤتمرها الثالث عشر في طوكيو. وفي ذلك إيذان بتزايد إسهام اليابان في الأدب المقارن، ومخرج الرابطة جغرافياً من بوتقة الغرب. على أن الأدب المقارن بقي حتى اليوم علماً غريباً، وبقي إسهام المنظومة الاشتراكية فيه محدوداً، وأقل منه إسهام البلدان النامية.¹

ومنذ البدء اختلط مفهوم "الأدب المقارن" بمفهومي "الأدب العام" و"الأدب العالمي". والملاحظ أنه حتى نهاية الثمانينات وبعد كل ذلك التطور المهم الذي حققه الأدب المقارن، ما زالت هذه المفهومات مختلطة حتى في بعض الجامعات العريقة. ومن هنا كان الربط الدائم بين الأدب المقارن والأدب العام في تسميات الأقسام الجامعية في دول أوربية كثيرة. كذلك يلاحظ أن الكتاب السنوي الأمريكي ما زال يحمل تسمية الأدب العام إلى جانب الأدب المقارن. وقد آن أوان التفريق بين هذه الحقول المعرفية الثلاثة.

فالأدب العالمي world literature مصطلح من وضع (غوته). وكان ينطوي على حلم بزمان تصير فيه كل الآداب أديباً واحداً. ولكنه تحول بالتدرج إلى الدلالة على تلك السلسلة الذهبية من الأعمال الأدبية التي قدمتها قرائح من مختلف شعوب العالم، وترجمت إلى اللغات المختلفة، واكتسبت صفة الخلود، وارتفعت إلى مصاف الروائع classics المعترف بقيمتها الفنية والفكرية في كل أنحاء العالم، وبالطبع تنضوي هذه الروائع تحت تخصصات الأدب المقارن. والملاحظ أن سلسلة الروائع العالمية ظلت حتى ستينات القرن العشرين تحت تأثير المركزية الأوربية Euro- centralism ولكنها

¹ - ينظر: حسام الخطيب، الأدب المقارن .. من العالمية إلى العولمة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، ص: 92.

أخذت تتسع بالتدرّج لبعض الأعمال خارج نطاق الغرب، ربما بتأثير نمو التبادل الثقافي والتوسع في مفهوم الجوائز الأدبية العالمية.

وأما الأدب العام *général littérature* فمصطلح استعمل غالباً لوسم تلك الكتابات التي يصعب أن تُصنّف تحت أي من الدراسات الأدبية، والتي تبدو ذات أهمية متجاوزة لنطاق الأدب القومي. وهي أحياناً تشير إلى الاتجاهات الأدبية أو المشكلات أو النظريات العامة في الأدب، أو الجماليات. كما صُنّفت تحت هذا العنوان مجموعات النصوص والدراسات النقدية والتعليقات التي تتناول مجموعة من الآداب ولا تقتصر على أدب واحد. وهكذا يتطابق الأدب العام أحياناً مع مبادئ النقد ونظرية الأدب، أي مع كل دراسة أدبية تركز على التنظير ولا تقتصر أمثلتها على أدب واحد.¹

ويقل استعمال مصطلح "الأدب العام" اليوم ويكاد ينحصر في الدلالة على أنواع متفرقة من الدراسات الأدبية التي يصعب أن تُصنّف في نطاق الأدب القومي أو العالمي أو المقارن.

ولم تزل الخلافات بشأن منطِق الأدب المقارن ومنطقته قائمة حتى اليوم وإن كانت تضيق تدريجياً لتفسح في المجال لمفهوم مشترك سيجري تحديد عناصره هنا بعد استعراض تاريخية اتجاهات الأدب المقارن.

دون الدخول في متاهات التحديد الدقيق لتاريخ نشأة هذا الحقل المعرفي أهو 1827م أم 1828م أم 1829م لنجمل القول إن الوعي النقدي والتاريخي بتنامي خصوصيته المعرفية وأهميتها تعود إلى بدايات القرن 19 .

¹ - هيئة الموسوعة العربية، الموسوعة العربية، الجمهورية العربية السورية، 1998، - المجلد 1 - ص: 685

المحاضرة الثانية

عوامل نشأة المسرح المقارن في فرنسا

عوامل نشأة الدرس المقارن في فرنسا

لقد وجد الدرس الأدبي المقارن في مدرج الجامعة الفرنسية المنفتح على الثقافة الإنسانية الرحبة ما مكنه من فرص الانتشار وتوسيع قاعدة المهتمين به. وإذا كان القرن الثامن عشر مهد الطريق لنشوء فكرة المقارنة فإن القرن التاسع عشر شهد ولادة هذه الدراسات وإن لم تولد ناضجة أو مكتملة ويمكن أن نوضح طبيعة تلك العوامل التي أدت إلى نشوء الدراسات المقارنة:

1 العامل السياسي:

لقد حرص ملوك فرنسا على جعل هذه الأخيرة باريس عاصمة ثقافية لأوروبا، فغدت مركزا استقطب العديد من الباحثين والمثقفين والشعراء والمفكرين على اختلاف مشاربهم، كما كان للثورة الفرنسية التي قامت في نهاية القرن الثامن عشر دور رئيس في الإسهام بتحويلات شاملة لم تقتصر على النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية فقط بل امتدت إلى الأدب ومناهج دراسته، ففكرة الاستقرار والتوحد حل محلها الحركة والتنوع وحل الاهتمام بالإنسان بدل الاهتمام بالتاريخ وبدلا من الحقيقة الواحدة نشأت فكرة الشك والحقائق المتعددة وإذا كان المثقفون الفرنسيون قد تنبهوا منذ وقت مبكر إلى التراث الأدبي المشترك الذي يربط بين شعوب القارة الأوروبية، فقد تبلور في فرنسا تياران هما:¹

¹ - ينظر: أحمد درويش، الأدب المقارن: دراسة نظرية وتطبيقية، دار النصر للنشر والتوزيع، 2006، ص: 15

• التيار القومي:

قد كان أنصار هذا التيار يدعون إلى وجوب الاقتصار على الآداب الفرنسية ورفض التأثيرات الأجنبية، وتجلي هذا الاهتمام في المسرح الفرنسي حيث حرص أنصاره على بلورة مسرح فرنسي يبتعد عن التأثيرات اليونانية أو الإيطالية ويستلهم الحياة الفرنسية .

• التيار العالمي:

رأى أنصار هذا التيار في ضوء ما سبق ذكره أن الآداب الأوروبية نشأت عن عمليات تفاعل واسعة قامت على التأثير والتأثير وأن الاقتصار بالتالي على الآداب القومية وحدها يدخلها في مرحلة الركود والتفوق، وقد كان الشاعر الألماني (يوهان فولفجاج فون غوته Goethe) ممثلاً لهذا التيار في ألمانيا من خلال نظريته الأدب العالمي ، في حين كانت مدام دي ستايل Madame de Stael تمثلها في فرنسا وتدعو إلى ضرورة الانفتاح على التجارب الحضارية للأمم.

2.1 العامل الفلسفي:

لقد نشأت الدراسات المقارنة في فرنسا متأثرة بأجواء الفلسفة الوضعية Positivisme كما تجلت في دراسات أوجست كونت Auguste Comte. وقد انتشرت هذه الفلسفة في الدراسات الاجتماعية وامتدت إلى الدراسات الأدبية، وصارت تسعى إلى وضع قوانين ثابتة للأدب ثبات القوانين في العلوم الطبيعية، وحاولت تطبيقها على الأدباء مثلما تطبق قوانين الطبيعة على العناصر والجزئيات والكليات¹.

1- ينظر: رينييه ويليك. أوستن وارين. نظرية الأدب. ت: محي الدين صبحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1981، ص: 271. "يفترض فرديناند بروننتير أن في وسع المرء اعتبار الأنواع الأدبية مماثلة للأنواع في الطبيعة، فإذا ما بلغ النوع

كما أدى التطور العلمي وبخاصة في مجال الدراسات البيولوجية إلى نشوء دراسات مقارنة من مثل: علم الأحياء المقارن، علم التشريح المقارن، فكان نشوء الأدب المقارن مؤشرا على الارتباط الوثيق بين طرفي المعادلة وهما الفلسفة الوضعية والعلم التجريبي.

وقد ظهر نقاد بارزون في هذا الاتجاه هم: سانت بييف / Sainte Beuve / وهيبوليت تين Hippolyte Taine / وبرونتين Brunetiere.

وقد ربط بعض هؤلاء النقاد الإبداع بعوامل العرق والعصر والبيئة، ووضعوا قوانين ترجع الأدب والإبداع بوجه عام إلى تصنيفات عامة وكثر الحديث حول احتميات سواء أكانت جغرافية أم تاريخية، وسعوا من خلال ذلك كله إلى تأسيس نقد يعتمد العلم ويسعى للبحث في أصول الأفكار وعلوم النشأة الثقافية عند الأمم المختلفة.

3.1 العامل الاستعماري:

لقد كانت نشأة الأدب المقارن في فرنسا مشوبة بعاملين مهمين على هذا الصعيد هما المركزية الأوروبية والبعد الاستعماري، أما على صعيد المركزية الأوروبية فقد ظلت الدراسات المقارنة تقتصر في بعدها التطبيقي على الآداب الأوروبية كالإنجليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية والإسبانية وترفض أن توسع دائرة المقارنة إلى غير ذلك من الآداب، أما على الصعيد الاستعماري فقد حرصت فرنسا على خلق ثقافة فرانكفونية في مستعمراتها تتأثر بالثقافة الفرنسية وتكون تابعة لها.

الأدبي درجة معينة من الكمال، فلا بد أن يهزل ويشيخ ثم يموت ... وفوق ذلك يجري تحول الأنواع إلى أنواع أعلى تماما حسب نظرية النشوء والارتقاء لداروين"

وإذا قمنا بتحليل طبيعة هذه العلاقة فسنرى أن الفرانكفونية تحمل التعالي من طرف والدونية من طرف آخر.¹

¹ - ينظر: عز الدين المناصرة، المثاقفة والنقد المقارن، بيروت المؤسسة العربية للدراسات 1996 ص: 85.

المحاضرة الثالثة

أرضية معرفية لهجوم الأديب

المقارن

أرضية معرفية لمفهوم الأدب المقارن

بالإضافة إلى صعوبة ضبط " المصطلح " هناك صعوبة أيضا في تحديد مفهوم هذا الفرع المعرفي الأدبي وعليه ظهرت عدة مفاهيم مختلفة ومتنوعة منها:

المفهوم الأول: الأدب المقارن هو دراسة الأدب الشفوي لاسيما موضوعات الحكايات الشعبية وكيفية تطورها ودخولها حقل الأدب الفني و الرسمي. لقد كان الهدف الأول لأصحاب هذا المفهوم هو البحث عن أصل الآداب الإنسانية حتى يتعرفوا على الأفكار المشتركة بين شعوب وثقافات العالم والأفكار التي هي ملك خاص لشعوب بعينها، لقد ساد هذا المفهوم في أوروبا الشمالية ولكنه لم يعمر طويلا.¹

المفهوم الثاني: يرى أصحاب هذا المفهوم أن الأدب المقارن لا يتطابق مع الأدب العالمي ولا مع الأدب العام. ويُعدُّ هذا المفهوم دفاعا عن الأدب المقارن، وعن استمرارية وجوده على الساحة الثقافية العالمية حينذاك، لأن هناك من لم يدرك حقيقة الأدب المقارن، فكان يرى أنه غير ضروري ووجوده كعدمه لأنه يقوم بنفس الوظيفة التي يقوم بها الأدب العالمي و الأدب العام، هكذا حاول أصحاب هذا المفهوم أن يبينوا الفروق الجوهرية بين الأدب المقارن والأدب العالمي من جهة وبين الأدب المقارن و الأدب العام من جهة ثانية، يشترك الأدب المقارن مع الأدب العالمي و الأدب العام في كونه لا يكفي بدراسة أدب قومي واحد بل يتعداه، إلى أكثر من ذلك، إلا أنه -الأدب المقارن-

¹ - رينيه ويليك، مفاهيم نقدية، تر: جابر عصفور، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1987، ص:298.

يختلف عنهما في كونه يبحث عن علاقات الاشتراك و التأثير والتأثر بين الثقافات المختلفة وعن كيفية إسهام كل ثقافة في بناء الفكر العالمي وذلك عن طريق المقارنة.

المفهوم الثالث : يرى "بول فان تيغم" (Paul Van Tieghem) أن الأدب المقارن، ككل علم تاريخي، يحاول أن يشمل أكبر عدد ممكن من الوقائع المختلفة الأصل، حتى يزداد فهمه وتعليقه لكل واحدة منها على حدة، فهو يوسع أسس المعرفة، كما يجد أسباب أكبر عدد ممكن من الوقائع.

ولكن الباحث المقارني الفرنسي المشهور بول فان تيغم Tieghem Paul Van استعمله لاحقاً لمن تقدم ذكرهم في معرض سعيه لتحديد أكثر دقة ووضوحاً لمصطلح الأدب المقارن، وهو يعني به شيئاً محدداً وهو الأبحاث التي تتناول الوقائع المشتركة بين عدد من الآداب، موضحاً مفهومه أكثر أن الأدب المقارن هو تقرير التشابهات والاختلافات بين كتابين أو مشهدين أو موضوعين أو صفحتين من لغتين أو أكثر، حتى نعرف نوعية التأثير أو الاقتباس. ومن هنا تظهر أمامنا هذه الشئانية التي تفترضها كل "مقارنة" فهي دائماً تستدعي في الذهن حالات: تشابه/اختلاف، لكتابين /موضوعين، صفحتين/لغتين...¹

¹ - بول فان تيجم، الأدب المقارن، ترجمة : محمد محمود الحضري، دائرة المعارف الأدبية، دار الفكر العربي، ص:176.

المفهوم الرابع:

ورد في معجم "وبسترز" (Webster's) في سنة 1960 أن كل ما يُدرس نسقياً عبر مقارنة الظواهر، هو "أدب مقارن" ومن ثم تصبح الدراسة النسقية شرطاً خارجياً على كل زواج ينزع إلى إيجاد الشرعية بين الأدب والمقارنة، ومن هنا يرى "جانوس هانكيس" (Janos Hankis) أنه لتقييم أي حدث أدبي فإننا نقارنه بالضرورة إما بأحداث موازية وقعت في الماضي أو بظواهر مشابهة له.

المفهوم الخامس: يرى "كلود بيشوا" (C. Pichois) أن الأدب المقارن هو وصف تحليلي ومقارنة منهجية تفاضلية، و تفسير مركب للظاهرة اللغوية الثقافية ومن خلال التاريخ والنقد و الفلسفة، وذلك من أجل فهم أفضل للأدب، بوصفه وظيفة تُميز العقل البشري.¹

المفهوم السادس: يعتبر "هاري ليفن" (Harry Levin) الأدب المقارن موقفاً أو وجهة نظراً، لا علماً ومادة. وهذا يعني أنه يجد في الأدب المقارن مجموعة من المبادئ، التي يحسن الأخذ بها عند مناقشة الأدب مهما كان نوعه ومصدره وهو من هنا لا يُميز "الأدب المقارن" عن الأدب ككل.

¹ - ينظر: كلود بيشوا، أندري م. روسو، الأدب المقارن، تر: أحمد عبد العزيز، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط: 3، 2001، ص: 29.

المفهوم السابع: أما "هنري رماك" (Henry Remak) فيعرف الأدب المقارن بأنه المقارنة بين أدبين أو آداب مختلفة ودراسة العلاقات بين الأدب ونواحي المعرفة الأخرى بما فيها الفنون الجميلة والفلسفة والتاريخ والعلوم.¹

أسئلة التقويم الذاتي:

السؤال:

1. وضح باختصار العوامل التي جعلت فرنسا موطناً لنشوء الدراسات المقارنة.
2. قارن بين مفاهيم مصطلح الأدب المقارن وبين اضطراب الاستعمال في توظيفه.

¹ - ينظر، محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، مطبعة مخيمر، القاهرة، 1953، ص: 24.

المحاضرة الرابعة

المدرسة الفرزنبية وسلكة الوعي
القومي (المنهج التاريخي)

المدرسة الفرنسية وسلطة الوعي القومي (المنهج التاريخي)

دون الدخول في متاهة التحديد الدقيق لتاريخ نشأة هذا الحقل المعرفي أهو 1827م أم 1828م أم 1829 لنجمل القول بأن الوعي النقدي والتاريخي بتنامي خصوصيته المعرفية وأهميتها تعود إلى بدايات القرن 19م، وهو زمن لم يكن لا في لائحة الباحثين من ذوي الاختصاص ولا في البحوث المنجزة إبان الحقبة ما يستوجب إعادة النظر في مؤدى مبحث لم يتوسع نفوذه المعرفي حد اقتحام مدرجات الجامعة، وإن فعل فعلى مراحل ووفق خطى متثابرة.¹

لقد وجد الدرس الأدبي المقارن في مدرج الجامعة الفرنسية المنفتح على الثقافات الإنسانية الرحبة ما مكنه من فرص الانتشار وتوسيع قاعدة مريديه، أضف إلى ذلك ما كان من دور خطير لمجلة الأدب المقارن الفرنسية *Revue de littérature comparée* الصادرة منذ عام 1920 مرفودة بسلسلة من الإصدارات الدراسية المتخصصة التابعة لها، والتي اشتهرت باسم: *Bibliothèque de la R.L.C.*

إن نتاج هذا الجهد الطباعي المشهود كان وراء تبلور تصور منه سيعرف لاحقا في تاريخ الحركة المقارنة باسم المدرسة الفرنسية اسم لا يحق أن ينحصر قط على أنه مقصور على ساكني المضلع الفرنسي أو الحاملين للجنسية الفرنسية سواها. فتسمية المدرسة

¹- ينظر: أحمد دياب، الأدب المقارن بين المدرستين الفرنسية والأمريكية، مجلة جسور المعرفة، جامعة الشلف، م2، ع7، 2016، ص:28.

الفرنسية لا تعدو أن تكون لفظا دالا على جماعة من الباحثين والدارسين من شتى الأصقاع والبقاع تجمع فيما بينهم رؤية شبه موحدة المقام تخص طبيعة وماهية المولود الجديد مع اختلاف ملحوظ في المشارب المعرفية والألسنية والقومية فالمستهدف إذن من تسمية المدرسة الفرنسية لا يخص الجانب القطري الإقليمي ولا السياسي بقدر ما يستهدف ذلك التشارك القائم على المستوى المعرفي فقط.

فخلاف المدرج السوفياتي الذي تلكأ طويلا قبل إقدامه على منحه تأشيرة الدخول لهذه المادة " المتبرجة " كما وصمها النافذون في السلطة السطالينية Le Stalinisme تلك الجامعة الفرنسية التي بادرت إلى احتضان ورعاية البذرات الأولى لهذا الحقل المعرفي وعدت بحق وطنه الأول والأمثل، وعليه لا يمكن لمؤرخ الحركة المقارنة أن يتحدث عن البدايات دون العودة إلى علائقها المتواشجة مع تصور مدرسي فرنسي نحسبه العمادة الأولى وركنها الركين في مدرسة المقارنة العالمية. فكيف كانت مميزات ومقومات هذا التصور المدرسي الكلاسيكي؟

للإجابة، لا مندوحة من التعرّيج على ما طرحته يراعة أحد رواد وأفذاذ هذه المدرسة ونعني (Guyard Marius Francois) لقد كتب لمصنّفه التعليمي La littérature comparée من الطباعات المتتالية ما حوله إلى ما يشبه الكراسة الدليل

والنص المقدس La bible des comparatistes والذي لا غنى عنه لدارس مبتدئا كان أو محنكا. لقد كتب معرفا الأدب المقارن:¹

*La littérature comparée. c'est l'histoire des relations littéraires internationales. Le comparatiste se tient aux frontières linguistiques ou nationales et surveille les échanges de thèmes, d'idées, de livres ou de sentiments entre deux ou plusieurs littératures exprimées dans leurs langues nationales.*²

وسعيا إلى توضيح أكثر وبلورة لتصوره الخاص بالأدب المقارن يضرب لنا مثالين اثنين نسوقهما بلغتهما الأصلية ههنا:

" Juxtaposer et comparer deux ou même trois œuvres appartenant à des littératures différentes ne suffit pas pour faire acte de comparatisme. Le parallèle inévitable de 1820 à 1830 entre Shakespeare et Racine c'est de la critique ou de l'éloquence. Chercher ce que le dramaturge anglais a connu de Montaigne et de qui de ses essais est passé dans ses drames, c'est de la littérature comparée "
On le voit : La litt / comparée n'est pas la comparaison

ثم ليختتم المداخلة مستنتجا (فكما تبدى الأدب المقارن ليس هو المقارنة).

¹-M. F. Guyard, La Littérature comparée, Paris : P.U.F, 5e éd, 1969, P :12.

²-Ibid, P :12.

ومثل هذا الفهم لماهية الأدب المقارن نلفيه واردا وبتواتر ملحوظ لدى كثير من قلم علم في الحركة المقارنة لتلك الحقبة وهو ما تحسسه صاحب القول المسجل أعلاه فحوصله بقوله:

Jean Marie Carré estime après Paul Hazard et Fernand Baldensperger que la ou il n'ya plus relation d'un homme à un texte. D'une œuvre à un milieu récepteur, d'un pays à un voyageur, s'arrête le domaine de la littérature comparée et s'ouvre de la critique quand ce n'est de la rhétorique »¹.

فالمقتطف التعريفي يبدو منشدا انشادا إلى ملفوظ علاقة / relation بوصفها علاقة تفاعلية لا مناص من تأكد قيامها على نحو من الأنحاء ما بين طرفين قد يكون أحدهما ذا طبيعة كتبية أو جغرافية أو حضارية إنه تفاعل أساسه الثنائية يمكن أن تتشكل خطاطته على المنوال التالي:

Homme.....Texte

Œuvre.....Milieu

Voyageurs.....Pays

وفي هذا الجرد المحدد بإطار علائقي ما يمكن تأويله على أنه أحد أقانيم الدرس الأدبي المقارن، بمعنى أن الأدب المقارن ضرب من المقاربة النقدية المتخصصة التي

¹ - Guyard , op .cit, P: 07

تعتمد المقابلة والموازنة ما بين نصين مختلفين لسانا أو لسانا ومكانا معا (خاص ببعض الأقطار المتعددة اللغات الوطنية) مع اشتراط قيام علاقة فيما بينها ذات طبيعة تأثيرية تأثيرية مؤكدة الحدوث بملف تاريخي قائم الشاهد ثابتة.

إنها كبرى خصوصيات المدرسة الفرنسية وفرادتها، وقد جاراها في ذلك أكثر من بلد ومن بينها منظومة لأكثر من بلد عربي كما يتكشف لنا من متابعة كتابات تعريفية بهذه المادة طرحتها أقلام باحثين ظلت في مجموعها وإلى وقت قريب جدا متقنية أثر كتابات الدكتور محمد غنيمي هلال، بوصفه أحد الرواد الفاعلين في هذا الاختصاص لقد تمكنت سلطة الرجل المعرفية من أن توجد لها شيئا وأتباعا وأن تستخلف بالتالي كوكبة من الأقلام المقارنة الشابة التي ما فتئ الكثير منها للأسف الشديد يتعاطى مع النص الريادي والموسوم بـ "الأدب المقارن" بضرب من النظرة المحافظة الاجترارية التي لا تقوى فكاكا من تصور موروث لهذا المجال المعرفي الجديد يقول صاحبه ما يلي:¹

مدلول الأدب المقارن/ تاريخي/ ذلك أنه يدرس مواطن التلاقي بين الآداب في لغاتها المختلفة وصلاتها الكثيرة المعقدة، في حاضرها أو ماضيها وما لهذه الصلات التاريخية من تأثير أو تأثر سواء تعلقت بالأصول الفنية العامة للأجناس والمذاهب الأدبية أو التيارات الفكرية أو اتصلت بطبيعة الموضوعات والمواقف والأشخاص التي تعالج أو تحاكي في الأدب، أو كانت تمس مسائل الصياغة الفنية أو الأفكار الجزئية في العمل الأدبي أو كانت خاصة بصور البلاد المختلفة كما تنعكس في آداب الأمم الأخرى، بوصفها صلات فنية تربط ما بين الشعوب والدول بروابط إنسانية تختلف باختلاف

¹ - محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص: 15.

الصور والكتاب ثم ما يمت إلى ذلك بصلة من عوامل التأثير والتأثر في أدب الرحالة من الكتاب.

تعريف غنيمي هلال لا يحتاج من لدن واضعه ومتلقيه على السواء إلى مزيد من التوضيح، ورغم ذلك فهو يصر على رفته وفي سطور لاحقة بتوضيح إضافي، لربما درءا لكل لبس وتضييقا لدائرة احتمالات التأويل الجانبي فيقول: "لا يعد من الأدب المقارن في شيء ما يعقد من موازنات بين كتاب من آداب مختلفة لم تقم بينهم صلات تاريخية حتى يؤثر أحدهم في الآخر نوعا من التأثير أو يتأثر به".¹

إن ما يمكن ملاحظته على هذا التعريف هو قربه الحميمي من ذاك الذي عرضنا له عند أحد رواد الدرس المقارن الغربي، إنه تناظر رؤيوي مصدره عنصر التلمذة لبحاثتنا العربي هلال على يديه وعلى يد كوكبة من الباحثين البارزين الأجانب والذين اتخذوا من ورق مجلة الأدب المقارن منبرا حرا للترويج لتصورهم الأدبي المقارن.

هي بدايات التعيد لدرس تشهد التعاريف الخاصة به التي انطوت عليها مصنفات الفترة فهو اختصاص مستحدث يقوم على ملاحقة المشترك ما بين أكثر من مكتوب على نحو دراسة لأوجه التأثير والتأثير ما بين آداب الأمم القائمة، والتي يجب وجوبا أن تقوم على أس من العلائق التاريخية المؤكدة والمحددة، كما تصر على تأكيده هذه الأقلام المهووسة بروح العلمنة التي هيمنت على طبيعة الحقبة التي شهدت ولادة الأدب المقارن.

¹ - محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص: 11.

إن في هذا التركيز والتأكيد على عامل العلاقة السببية الواجب توافرها في كل دراسة تتخذ لها المبحث المقارن إطارا أكاديميا، ما يقول بصراحة رغبة ملحة في الانغماس في روح عصر طبعته روح العلمنة scientisme ومذهب الحتمية Le déterminisme أضف إلى ذلك رغبة لا تقل شأنًا لدى مؤيديه ورواده في تمييزه عن صيغة لمقاربة النقدية العامة ظلت تقوم منذ أقدم العصور على ضرب من الموازنة المحضة التي تتأسس على مجرد وجود شبه ما بين النصين المدروسين ولو لم تقم فيما بينهما علاقة تفاعل فعلي مؤكد تاريخيا.

وقد رافق انتشار النزعة التاريخية في الدراسات الأدبية المقارنة نزعة أخرى، متمثلة في النزعة الوضعية "وقد عبرت النزعة الوضعية عن نفسها في الأدب المقارن من خلال دعوة (المدرسة الفرنسية التقليدية) إلى اعتماد المنهج التجريبي في دراسات التأثير والتأثر، بل البرهنة على وجوده بالأدلة والوثائق الملموسة التي لا تدع مجالًا للشك. شكل هذا التواءم بين النزعتين التاريخية والوضعية أساسا نظريا لما يعرف بالمدرسة الفرنسية¹. الفرنسية¹. فالمعرفة الصحيحة -حسب المدرسة الفرنسية- هي التي تستند إلى قاعدة تجريبية، وليست تلك التي تقوم على الحدس والتخمين، لذلك فقد دعوا إلى تطبيق المنهج التجريبي على الأدب المقارن، من خلال البرهنة على وجود التأثير والتأثر بمختلف الأدلة والوثائق التاريخية الملموسة...

إنه تباين جوهري في المنهج تصر المدرسة الفرنسية على اعتماده لا رغبة في التعقيد والتعسير على الدارسين بل لمبتغى وغاية تضعها زمرة المقارنين الأوائل نصب عينيهما، وتمثل في كون الأدب المقارن مبحثا لا يعتمد المقارنة حبا في المقارنة في حد ذاتها وإنما

¹ - عبده عبود، الأدب المقارن - مشكلات وآفاق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999، ص: 27.

وسيلة عملية من جانبه قصد الوصول إلى إقامة تاريخ أدبي عالمي أساسه التفاعل السببي المؤكد تاريخيا ما بين سائر أدباء المعمورة. ولا غرو في ذلك ما دام التاريخ تعريفا وواقعا كان وما زال سلسلة طويلة من كبرى الحوادث المتلاحقة المتعاقبة فيما بينها نسبا وسببا، وعليه فطموح المقارنين في وضع تاريخ أدبي أمعي يفسر الحركة التطورية للكتابة الإنسانية بوصفه لا يمكنه أن يشذ عن القاعدة. بمعنى اعتماد المعامل الذرائعي في ضبطه تاريخيا لا يمكن للتطور الحاصل في إطاره أن تتحكم فيه الطفرة باستمرار أو الصدفوية، فمثله مثل سابقه السياسي الاجتماعي توجهه سببية خفية أو علنية لكنها قائمة ولا يمكن لعصر معلمن أن يتجاهلها على أي صعيد من أصعدة العطاء والابداع البشري بما في ذلك جانبه الأدبي.

فكان الاشتراط للشاهد التاريخي من قبل مقارني المدرسة الفرنسية تماشيا مع روح عصر معلمن واستجابة لخصوصيته، ولا يعد الفعل في اعتبارنا فعلا تعسفيا ولا بدعا من القول فهو يندرج اندراجا كليا في مناخ فكري ساد الحقبة ونحسب شرطه يحقق للدرس الأدبي المقارن أكثر من ميزة ويمنحه أكثر من وجه حق للانفصال عن حقول محاذية موازية تنازع مجالا الاختصاص القائم على تدارس النصوص وتمحيصها.

وقد "وسعت المدرسة الفرنسية متسلحة بمنهجيتها هذه دائرة التراث الأدبي القابل للاستغلال، وحتى الشائع منه، فاستخرجت بذلك من لامبالاة البحث المغلق كلا من المراسلات... والنصوص المنشورة خارج الحدود القومية وذكريات الترحال أو شهادات اللقاءات والأحاديث، على الرغم من أن هذه الوثائق لا ترقى إلى مستوى الروائع الأدبية، إلا أنها سدت نقائص عديدة، وعمقت بعدها وتنوعها الرؤية التي عادة ما

تفتقر إليها الأبحاث القومية، فكان يكفي أن يمتد حب الاستطلاع إلى الخارج بانتظام بدلا من الاحتشام الذي يتفوق فيه¹، ولم يخرج هذا النمط من الدراسة عن فكرة السرقات الشعرية، أما المقارنة فقد وسعت مجال الدراسة لتشمل الأنساق المضمره والمتبادلة بين الآداب خارج حدودها اللسانية والقومية.

شروط المقارنة عند المدرسة الفرنسية:

إن الأدب المقارن من منظور المدرسة الفرنسية بقدر ما يقاطع ويشاكل ذلك المظهر الدراسي للنصوص، إلا أننا نحسبه درسا له خصوصيته المعرفية التي تأسست على سابقاتها لكنه عمل بدأب واع على تجاوزها تجاوزا ملحوظا بوضعه شروطا مستجدة نوجز أهمها في التالي:

1. تباين النصوص المقارن فيما بينها لسانا أو مكانا أو فضاء حضاريا أو قوميا فعنصر الأجنبيّة l'étrangeté لا بد من توافره على رأس قائمة الشروط.
2. لا بد من قيام علاقة تاريخية ما بين النصوص المخضعة للتحليل والمدارسة إنه الشرط السببي التاريخي الذي لا يشترطه طرف مدرسي أمريكي للمقارن، ونحسبه العنصر الإجرائي الذي سيفرق الباحثين في هذا المضمار إلى ما سيعرف لاحقا بمدارس الأدب المقارن والتي نرجئ الحديث عنها إلى حينها.

إجمالا يمكن القول إن بدايات الفهم لمعطي الاختصاص لهذا المبحث المعرفي المقارن كان يطبعها تناظر رؤيوي صنعه أكثر من عامل وعامل نقصر القول على بعضها في التالي:

¹ - بيربرونيل وأ. م. روسو وآخرون: ما الأدب المقارن؟ ص: 103.

• حادثة الاختصاص الأدبي مرفودا بعامل المعاصرة.
• أثر الريادة الفاعل وما يتميز به صوتها الجمهوري من قوة نفاذ ونفوذ في وسط مثقفين محدودي العدد. فالتصور عندنا أن التلمذة كان لها دورها الملحوظ في تكريس تصور مدرسي ما، وهو ما يتجلى بقدر من الوضوح في التعريفين المقترحين من قبل كل من الأستاذين Guyard وباحثنا غنيمي هلال، واللذين لا يكادان في تصورهما يجيدان إن قليلا أو كثيرا عن منظور أستاذهما المشترك: Jean Marie Carré .

• ولربما كان بالإمكان رقد هذين العنصرين التبريريين بثالث نشخصه في إسهام منشور دوري خطير عرف باسم Revue de Littérature comparée الفرنسية وسلسلة مطبوعاتها الموسومة ب(مكتبة مجلة الأدب المقارن) مطبوعان لا يمكن تبرئة ذمتها من سيادة تصور منمط للدرس المقارن وسيادته إلى فترة لاحقة.

إنها سيادة مرحلية ستعمر من الزمن ردحا لينفرط عقد تصورهما المشترك مع انطلاق فعاليات مؤتمر تاريخي للمقارنين في الولايات المتحدة الأمريكية، عام 1958 ، مرحلة ستشهد أولى أشكال التآزم أو التشرذم المدارس في المفهوم العام للأدب المقارن وسنعرض له في المحاضرة التالية.

أهمية النص الأدبي

أهمية النص الأدبي وإثره على المجتمع

أهمية النص الأدبي

الأزمة وإرهاصات المدرسة الأمريكية

لقد بقي تصور المدرسة الفرنسية للأدب المقارن التاريخي مهيمنا إلى عهد انعقاد المؤتمر الثاني للجمعية العالمية للأدب المقارن في Chapel Hill في الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1958. فقد ظهر تباين حاد في مواقف المتشيعين للفكر الفرنسي وبين أنصار التصور الجديد تجاه مفهوم الأدب المقارن في طرحه الاستيمولوجي، إذ على إثره مباشرة شهد عالم الطباعة مجيء أكثر من منشور وعنوان سعى أصحابها من وراء استصدارها إلى اقتراح الحلول والنفث في متشابك عقد وضعي معرفي متحجر ينذر بالتأزم والتشردم.

من بين تلك الإصدارات نذكر:

- 1-Wellek (R) : The crisis of Comparative literature. Published in : Concept of criticism. 1963
- 2- Etiemble (R) : Comparaison n'est pas raison / Galimard 1963
- 3-Corstius(Brandt) Introduction to the comparative study of literature/ 19683 -
- 4- Pichois (c) et Rousseau (am) la littérature comparée/ 1967

وقد تأسست المدرسة الأمريكية على مبدئين: المبدأ الأخلاقي الذي يقوم على اعتبارات تاريخية تحيل إلى حداثة الحضارة الأمريكية التي هي مزيج من الجنسيات

والثقافات الأوروبية، هذا ما دفعها إلى الانفتاح عن العالم، ومن ثم احترام الانجازات الأدبية الأجنبية. والمبدأ الثاني هو المبدأ الثقافي الذي يتمثل في بحث المدرسة الأمريكية عن هوية ثقافية ذات طابع منهجي ومعرفي يدور في حلقة القرن العشرين متخلصة من وضعية وتاريخية القرن التاسع عشر.¹

فالحديث عن أزمة أضحى حديث العام والخاص الأمر الذي حدا بعلامة الأدب المقارن وطفلها المشاغب كما دعي (R. Etiemble) إلى أفراد جزء معتبر من مصنفه المشار إليه أعلاه لتعقب الحدث وتبين خيطه الأبيض من خيطه الأسود ليخلص خاتمتها إلى الإقرار استنتاجاً أن لفظ (أزمة) أصبح شبه فارغ من محتواه لفرط ما تداولته الأقلام وسخرته للترويج الدعائي لمطبوعاتها، ولم لا النصب والاحتيال على جيب القارئ ومدخراته، إنه استخدام شبه مجاني للمصطلح يقف بعيداً عن معنى اقتصادي له يراد به التأشير على معنى من معاني الكساد أو البوار الذي يصيب شواظه المنتج الاقتصادي: وهو ما لا ينطبق مؤداه الدلالي العام على طبيعة وضع خاص بالأدب المقارن، ذلك أن هذا الأخير ودون أن ننكر حالة من الفوضى بدأت تعم أوساط الدارسين في تقديراتهم وضبطهم لحده المفهوماتي والاصطلاحي.

فهي حالة ناتجة عن تزايد عدد مريديه واتساع دائرة الاهتمام به مما شكل ضرباً من التضارب في الفهم والإدراك لحدود المفهوم، ولا عجب في ذلك ولا غرابة فلكل رغبة في الطبع للاختصاص الفتي بميسم له، فأزمة الأدب المقارن ناتجة عن رغبة من لدن

¹ - ينظر، سعيد علوش، مدارس الأدب المقارن... دراسة منهجية، ص: 93.

البعض في إعادة التوجيه لمسار الدراسات المقارنة وفك إسارها من قبضة علمنة طاغية ناهيك عن تأقظ أوروبي لا يتوافق وجوهر مبحث نقدي ينشد الانفتاح على الآخر لا الانكفاء على الذات ولو كانت أوروبية .

تعود البداية الفعلية للمدرسة الأمريكية إلى سنة 1958، حين ألقى الناقد الأمريكي "رينيه ويليك" محاضراته المعنونة "أزمة الأدب المقارن" في المؤتمر الثاني للرابطة العالمية للأدب المقارن، الذي أنعقد بجامعة "تشابل هيل" الأمريكية، وقد انتقد فيها بشدة المدرسة الفرنسية من خلال:

أ- افتقادها إلى تحديد موضوع الأدب المقارن ومناهجه؛

ب- تغليب العناصر القومية على العمل الأدبي في الدراسة؛

ج- المبالغة في إثبات مظاهر التأثير والتأثير.

ولقد تناول الباحث سعيد علوش في كتابه "مدارس الأدب المقارن" عددا من النظريات التي يعود إليها الفضل في بلورت فكرة (سيميائية المقارنة) في جذورها الأولى متسائلا: إلى أي حد يمكن الملاءمة بين المقارنة كفلسفة فهم وتأويل من جهة، وبين " الأدب" من جهة أخرى حتى نحافظ على الانسجام الذي تتطلبه كل مقارنة نظرية؟ أي أن مفهوم الدراسة المقارنة يختلف ما بين العلمي والفني وهنا يكمن الالتباس. وبصورة

أخرى، أيّ الحدين يلزم الآخر هل الأدب هو الذي يقارن أم أن المقارنة هي التي تخضع للأدبية؟¹

لقد أثار النقد الأمريكي أكثر من زاوية " لأزمة الأدب المقارن " ونبه إلى أكثر من زلة يتعين تداركها قبل فوات الأوان، والتي لا بأس أن نخص بعضها منها بوقفه خاطفة فيما يلي:

1. فشل المدرسة الفرنسية في وضع ضوابط صارمة لهذا الحقل المعرفي الجديد بطابعه المعلمن المتوارث عن عصر الحتمية التاريخية والعلوم التجريبية البحتة، وقد ظهر نقاد بارزون في هذا الاتجاه منهم : (Sainte Beuve / Hippolyte Taine/ Brunetière) " فربط بعض هؤلاء النقاد الإبداع بعوامل العرق والعصر والبيئة، ووضعوا قواعد ترجع الأدب والإبداع بوجه عام إلى تصنيفات عامة "² كما تطبق القوانين في العلوم الطبيعية على العناصر الجزئية والكليات مما أدخل الدراسات المقارنة في حالة من الركود تنذر بقرب موت بطيء.

2. إن الاقتصار على الآداب القومية وحدها يضر بالإبداع، وهو ما حصل مع الدراسات المقارنة الفرنسية التي غرقت في اللف والدوران حول الأدب الفرنسي مؤثرا كان أم متأثرا ورفض الاهتمام بالتأثيرات الأجنبية، الشيء الذي يرسب في الأذهان بإقليمية ضيقة إن لم تكن شوفينية، ولا عجب في

¹ - سعيد علوش، مدارس الأدب المقارن.. دراسة منهجية، ص: 08.

² - يوسف بكار و خليل الشيخ، الأدب المقارن، ص: 09

ذلك ولا غرابة " فقد كانت نشأة الأدب المقارن في فرنسا مشوبة بعاملين مهمين على هذا الصعيد هما: المركزية الأوروبية، والبعد الاستعماري... حرصا على خلق ثقافة فرانكفونية تتأثر بالثقافة الفرنسية¹ وهو ما يتنافى وطابعا عالميا منفتحاً يشكل عمادة الدراسات المقارنة وركنها الركين.

3. التركيز والتأكيد على عامل العلاقة السببية الواجب توفرها في كل دراسة تتخذ لها المبحث المقارن إطاراً أكاديمياً، مما يقول صراحة " أن انتقال مادة أدبية من أدب إلى أدب قومي آخر ليس مسألة عشوائية، بل هو علاقة تاريخية قائمة على السببية"² وهذا ديدن الدراسات المقارنة من منظور المدرسة الفرنسية، وقد اصطبغ بأجواء الفلسفة الوضعية *Positivisme*.

لقد ضيق مفهوم المدرسة الفرنسية حقل اشتغال الأدب المقارن بحصره في جدلية التأثير والتأثير المبررة، بملف للشواهد والأدلة الثبوتية باعتقادها أن العملية الإبداعية لا تتحكم فيها الطفرة باستمرار، بل نصوص متلاحقة ومتعاقبة فيما بينها نسبا وسببا، ويأتي دور الأدب المقارن للكشف عن هذه الأنساق المتبادلة. هذه بعض المآخذ التي طرحتها المدرسة الأمريكية في وجه نظيرتها الفرنسية، ولكن ماهي البدائل المقترحة من قبل المدرسة الأمريكية للخروج بالمقارنة من ضيق الأفق إلى رحابة الأذواق والأنساق؟

إن المقالة الانتقادية لـ R/ Wellek يعود إليها الفضل في إثارة أكثر من دائرة جدل فيما يخص مسار الدرس المقارن، بإعلانه قطيعة معرفية ومنهجية مع مفهوم

¹ - يوسف بكار و خليل الشيخ، الأدب المقارن ص: 09.

² - عبده عبود: الأدب المقارن، مشكلات وآفاق، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999، ص: 28.

المدرسة الفرنسية، فلقد دفع بالمقارنة من الحقل التاريخي والتأريخ الأدبي إلى النسق الجمالي، مما أكسبها نفسا جديدا سمح لها بنوع من الريادة في إطار نزعة عالمية وأنثروبولوجية ثقافية وأدبية، رسمت المعالم الأولى لموقف الرأي الأمريكي المهيمن سياسيا واقتصاديا، والمسيطر على أدوات العلم والتكنولوجيا والاتصالات والمعلوماتية، وفق مبدئين اثنين وضحهما الثنائي الفرنسي CL. Pichois/ A.M. Rousseau . في كتابهما ما الأدب المقارن.¹ Quest – ce– que la littérature comparée

1. المبدأ الأخلاقي:

يعكس موقف أمة كبيرة ومنفتحة على العالم، وهي منشغلة من ثم بإعطاء كل ثقافة أجنبية ما تستحقه من عطف ديمقراطي، وواعية في نفس الحين بجذورها الغربية.

2. المبدأ الثقافي:

يسمح للأمريكيين بأخذ بعد من هذه البانوراما الواسعة التي يقدمها القديم إلى حدود القرن 20 وأن تحتفظ بالقيم الجمالية والإنسانية للأدب وملاحقة تجريب المناهج والتأويلات.

فتسمية (المدرسة الأمريكية) لا تعدو أن تكون لفظا دالا على جماعة من الباحثين والدارسين من شتى الأصقاع والبقاع، تجمع فيما بينهم رؤية شبه موحدة المقام تخص طبيعة وماهية (الأدب المقارن)، مع اختلاف ملحوظ في المشارب المعرفية والألسنية

¹- Pierre Brunel, Claude Pichois et André-Michel Rousseau, Qu'est-ce que la littérature comparée, Paris, Armand Colin, (coll. « U ») 1983. 2. Fernand , P :28

والقومية، زد على ذلك حداثة الحضارة الأمريكية التي تكونت من مزيج من الجنسيات والثقافات التي انظمت جذورها وأصولها، وبالتالي كان هناك عمق استراتيجي كبير يستوعب تدريجياً مشاريع الثقافات الأخرى لكل العالم هو الامبريالية (الثقافية).

إضافة إلى ما تقدم يظل التعريف المقترح من قبل CL. Pichois/ A.M. Rousseau شبه مصر ضمناً على تداخل الاختصاصات، ويلح على أن الأدب المقارن وصف تحليلي ومقارنة منهجية تفاضلية وتفسير مركب للظاهرة اللغوية والثقافية من خلال التاريخ والنقد والفلسفة وذلك من أجل فهم أفضل للأدب بوصفه وظيفة نوعية للروح الإنسانية والملاحظ على هذا التعريف، أنه يشرح الامتدادات المعرفية والمنهجية للأدب المقارن في سلسلة من الثنائيات المنفصلة -سابقا- والتي عادت لتتكامل وتتفاعل من جديد، في شكل الوصف/ التحليل/ المنهجية/ التقابلية/ التفسير/ التركيب/ التاريخ/ النقد/ الفلسفة. ولمثل هذا الطرح روج Harry Levin ليحسم الأمر معتبراً أن الأدب المقارن علم دراسة العلاقات بين الأدب من ناحية وبين ميادين المعرفة الأخرى بين الأدب والتصوير والنحت والمعمار والموسيقى، وهو نوع من التداخل بين التعبير الأدبي وصور التعبير الأخرى.

هذا عن بعض ما أخذ طرحتها المدرسة الأمريكية في وجه نظيرتها الفرنسية والتي يمكن التعقيب عليها بالقول:

إن التطلع إلى ما رددته عريضة التهام أو سمها بيان الانفصال والعصيان يكشف عن أكثر من عنصر متفاوت الدرجات، جدية أو مغالطة فإذا ما نحن أقرنا حقاً بأن مادة الأدب الفرنسي قد احتكرت وإلى حد ما مباحثيات الدرس المقارن لردح

من الزمن غير يسير، وذلك لكون المبحث المقارن مبحثا نما وزكا نبتة في المجال الأكاديمي الفرنسي وبالتالي لا عجب ولا غرابة أن يتكفل أولا بالمادة المحلية غربلة وتنخيلا فيترتب عن الفعل تراكم للبحوث القائمة حول هذا الأدب.

أما القول الأمريكي بانعدام رؤيا تصويرية لمجال وخصوصية المادة المشتغل عليها فقول نتلمس في ثناياه أكثر من وجه للمبالغة والتقول حتى. ذاك أن الأدب المقارن وإن تقاسم مع حقول بحث محاذية كالنقد العام مثلا هم التحري والمتابعة لحركية المبدع والإبداع فإنه خلاف سليله النقد، يصر على حصر ومحاصرة مهمته في تصيد الأصول المصدرية- الأجنبية تحديدا- والتي تكون قد أسهمت في تشكيل خلفية النص، أضف إلى ذلك أن ثنائية أو تعددية الأطراف المقارن فيما بينها يعد في الدرس المقارن فرض عين لا فرض كفاية، كما هو الشأن في النقد عموما فمثل هذا التمايز في الطرح والمادة، وإن حاذى فيه الأدب المقارن اختصاص النقد إلا أنه لا يستنسخ خصوصيته بقدر ما هو يكملها. والأدب المقارن في هذا لا يشذ عن سواه من مثل علم الجيولوجيا، إذ كان هو الآخر في وقت سابق قد اقتطع لنفسه من فضاء الجغرافية الفسيح حيزا اختط فيه دائرة لاختصاصه مركزها القشرة التحتية للطبقة الأرضية. فالأدب المقارن يعد على هذا- تبسيطا لتعريفه- نقدا عاما تخصص في عملية الرصد للأصول الأجنبية ولا غير للأثر الإبداعي تبينا لحركية الإبداع وما يردفها من مرجعية أصيلة ودخيلة.

فالمقالة الانتقادية ل R/ wellek وبرغم ما انطبعت به من شطط وغلو، تظل ورقة/ وثيقة يعود إليها الفضل في إثارة أكثر من دائرة جدل فيما يخص مسار الأدب المتنازع عليه، لقد حققت دفعا ديناميكيا للدرس المقارن، وحدت بأكثر من قلم للإسهام بمجهده للدفع بالاختصاص الجديد خارج عنق الزجاجة واقترح توجه آخر ينبذ

آثار الفكر العلماني العليل ويعيد الاعتبار لمبحثية مقارنة تظل في جوهرها وأصلها ذات منحى كوسمبوليتي كوني يولي قفاه لفكر سماه R/ Etiemble الفكر القبلي الضيق أو Provincialisme، والذي تشخصه قائمة طويلة من دراسات خص بها الأدب الفرنسي دون سواه إما مؤثرا أو متأثرا: كم متراكم يقول فيما يقول تمكن الفكر الشوفيني من ذهنيات سادة ومريدي درس حضر في البدء بنية النسف لبقايا مثل هذه الترسيبات.

إذن من باب الحرص على مده بنفس جديد وإخراجه من القوقعة المغلقة وفتحه على أكثر من أفق سيبادر R/ wellek إلى اقتراحه تصورا جديدا نوره إجمالا في التالي:

Comparative lit.. has become an established term of any study of littérature transcending the limits of one national littérature.

وبذا ينضاف إلى مفهوم الأدب المقارن المكرس بعد دلالي يؤسس لمدرسة مقارنة أمريكية تقف في مواجهة سليلتها الفرنسية. ويتسع فهمها الاصطلاحي ليستوعب كافة الدراسات النقدية للآثار الأدبية التي تنتمي إلى فضاء لغوي متميز ودون اشتراط مسبق لتوافر العلاقة التاريخية كما تلح على ذلك مدرسة الريادة الفرنسية.

إنه الصوغ الجديد لمفهوم الأدب المقارن de La reformulation du concept de littérature comparée الذي سيتلقفه نفر من الدارسين من مثل Harry Levin/ وسواهما ممن سيسعون جادين إلى الترويج لمعطاء التنظيري الجديد في كتاباتهم.

فبالنسبة لـ (Henry Remak) في كتابه (الأدب المقارن : منهج ورؤيا) يصبح التعريف كالآتي:

مادة الأدب المقارن تدفع بدراسة الأدب إلى أبعد من الحدود الخاصة بدولة ما، بحيث تشمل دراسة العلاقات بين الأدب ونواحي المعرفة الأخرى بما فيها الفنون الجميلة والفلسفة والتاريخ والعلوم الاجتماعية والتجريبية والديانات وسواها .. أي بعبارة أخرى، إنه حقل معرفي يعنى بالمقارنة في أوسع معانيها سواء تعلق ما بين أدبين أو ما بين أدب وشكل آخر من أشكال التعبير الفني نحتاً أو رسماً أو نغماً أو ما إلى ذلك مما يندرج في حلقة من حلقات العطاء المعرفي والفني. ولمثل هذا الطرح للدرس المقارن روج ويروج Harry Levin أما الثنائي (CL. Pichois/ A.M. Rousseau) فالمسجل على موقفهما بعض اعتدال يترجمه قولهما:

La littérature comparée, c'est l'art méthodique par la recherche de liens d'analogie, de parenté et d'influence, de rapprocher la littérature d'autres domaines de l'expression ou de la connaissance (...) ou bien les faits et textes littéraires entre eux, pourvu qu'ils appartiennent à plusieurs langues, ou à plusieurs cultures afin de mieux les décrire. les comprendre et les goûter¹

فالملاحظ على تعريف الثنائي السابق الذكر CL. Pichois/ A.M. Rousseau) كونه تعريفاً لا يتخرج من ربط انتمائية النص وجنسيته بالمعامل الألسني، بوصفه الفاصل الفيصل الضابط لجنسية المكتوب وأجنبيته *son étrangeté* ومن ثم صلاحيته للمقارنة من عدمها في حين أن الأمر أعقد من هذا التصور، فمتى

¹ - Claude Pichois et André-M. Rousseau, La littérature La Litterature comparé. Paris, Armand Colin, 1967, p: 150

تعلق الوضع ببلدان تعتمد أكثر من لغة وطنية ورسمية أو منظومات فرانكفونية أو أمريكو لاتينية ناطقة بالاسبانية وإن لم تتساكن جميعها في المجال الجغرافي ذاته، فالإشكال المطروح في وجه الدارس المقارن لا يمكن البت فيه بصدق وحق باللجوء إلى ما جاء في التعريف الآنف الذكر أو التعويل عليه كل مرة، فالاجتهاد والحيلة أولى من التبنى الميكانيكي لمثل هذه (الفتاوى الأدبية أو النقدية). هذا فيما يخص العنصر الضابط لانتمائية النص.

أما عن العلاقة السببية التاريخية فإننا لا نرى في المقتطف من نص الباحثين ما يقول بها، بل إن الدراسة من منظور التعريف المقترح تصبح دراسة مقارنة من لحظة وجود علاقة شبه أو تماثل ما بين المكتوبين ولو لم يدعم الشاهد التاريخي قيامها الفعلي.

إضافة إلى ما تقدم يظل التعريف المقترح من قبل CL. Pichois/ A.M. (Rousseau) شبه مصر ضمنا على حصر المقارنة في حدود (المادة الأدبية) لا غير ودون إقحام لأطراف أخرى تنتمي إلى فنون تعبيرية تركز في جمالياتها التعبيرية على الألسني صائتة وصامتة اللغوي. وفي هذا الإقصاء للعنصر اللأدبي من دائرة ما هو قابل للمقارنة le comparable فيه ما فيه مما لا يتوافق وآراء آخرين من مثل: Harry (Levin) الذي ينعت الأدب المقارن على أنه علم دراسة العلاقة بين الأدب من ناحية وبين ميادين المعرفة الأخرى: بين الأدب والتصوير والنحت والمعمار والموسيقى" وهو تعريف كما يتبدى من سياق ما أوردنا يتطلع إلى القول بتكاملية مجالات التعبير الإنساني فيما بينها وإن مايزت بينها الأدوات المسخرة لذلك.

وعليه فالأدب المقارن هذه المرة لم يعد أدبيا محضا بل أضحي ذا منحي معرفي شمولي عام يعايش فيه الأدبي ذاك الفني والفكري ودون داع لفصل تعسفي ما بين هذه

المجالات المتكاملة والمتفاعلة (أزموزيا) على الدوام . لقد اكتسب الأدب المقارن بعدا مفهوماتيا جديدا أصبح بموجبه يعني فيما يعني تلك الدراسات التقابلية للآثار الأدبية في علاقتها مع نظيرات لها حبل بها المخيال البشري ودون اعتبار:

- لا لطبيعة العنصر الفني الموظف في التشكيل أكان صوتا أم نحتا أم لونا .
- أو كيفية حصول التأثير و التأثير أي ما سمته المدرسة الفرنسية بالعلاقة السببية التاريخية.

المحاضرة السابعة

المدرسة السلافية وسلطة الوعي الاجتماعي
(المنهج السوسبولوجي)

المدرسة السلافية وسلطة الوعي الاجتماعي (المنهج السوسولوجي)

ظهر "المنهج السلافي (الروسي)" أو "الأوروبي الشرقي" أو "الماركسي" في النصف الثاني من القرن العشرين، وقد تأخر ظهوره لأنه كان محتقرا، حيث عُدد من العلوم البرجوازية التي يجب ألا تمارس في دول اشتراكية. وبعد أن أزيل الستار بين أوروبا الشرقية والعالم ظهر مقارنون من تلك الدول، فنهضت مقارناتهم على دعائم المادية الدياكتيكية والمادية التاريخية. لهذا فضل بعض الباحثين اسم "المدرسة الماركسية" أو "المادية الجدلية" على اسم "المدرسة السلافية" أو "المنهج السلافي".¹

لقد ظل الدرس المقارن منفيا بعيدا عن المعسكر الشرقي الاشتراكي، لقد ارتأى هدنة المقاطعة في قوله هذا الحقل المعرفي بالتأثر والتأثير، ما يشي ضمنا بأفضلية عرقية أو قل طبقية استرقاقية تقرر إقرارا بأقنومها الجائر رأسمالية غربية متوحشة، هي ذي النظرية الاشتراكية قد حضرت لمناهضتها ودحضها لكن فترة هذا الجفاء المعرفي الطالع من ضلع عداء إيديولوجي مزمن لحقل الأدب المقارن لم يكن ليتمر طويلا خاصة وأن فتوحات الوافد الأكاديمي الجديد في المجال الجامعي قد تعددت تعدد معتنقيه ومريديه، لقد أصبح لزاما على أشياخ المعسكر الشرقي مراجعة الذات والحساب خاصة وأنه قد تبين لهم بالدليل المادي أن البقاء خارج فضاء درس أكاديمي بلغ أوجا من الشيوع والذبيوع ومن ثم الخطورة يعد بقاء ضرره أكبر من نفعه، لذا كان لا بد والحالة هذه أن يعتمد إلى صيغة تكييفية ترويضية لهذا الدرس حتى لا نقول تدجينه وأدلجته وفق ما يتماشى والتصور الاشتراكي المتمسك به، وهو ما تم فعله فيما نحسب حين مضت كتابات سلافية من مثل (v.m jirmounsky) تسطرها مقالات تحليلية تفسر التناظر في

¹ - ينظر: يوسف بكار و خليل الشيخ، الأدب المقارن، ص 86.

الأشكال الكتابية : صورا وقوالب وأفكارا، على أساس كونها محصلة تناظر في التجارب والمنطلقات المادية والبيئات وليس نتاج تلاقح معرفي لا دخل للمادي وجدليته في حدوثه. فالتأثر ذو السهم النازل شاقوليا من أعلى نحو الأسفل من وجهة النظر الغربي، سيتخذ في التصور السلافي الجديد ذي المنحى الاشتراكي الشيوعي مظهرا أفقيا ممتدا يجمع ما بين حلقات للزمن متساوقة حيناً أو متلاحقة أحيانا تترجم في مجموعها واقعا تناسخيا وتناظريا في التجارب الحياتية المعاشة من قبل الأمم والأفراد.

فالتأثر والتأثير كلفظ اصطلاحى أدبي سيشتحن مع حضور التصور السلافي للأدب المقارن بمحمولة مفهوماتية، تكسبه معنى التناظر والتماثل التعاقبي أو المتزامن لكن بعيدا عن كل معنى طبقي يرشح به اللفظ في استخدامه الغربي المقارن، فلو نحن شئنا التمثيل على ذلك فيما يخص أنموذجا تماثليا ما بين قالبين كتابيين من مثل المقامة العربية وما يعرف غربيا ب: Roman picaresque (رواية الشطار) الغربية لكان الناتج الاستقرائي على النحو التالي: في الوقت الذي ما فتئت فيه جملة من الدراسات الغربية الفرنسية المقارنة تصر على القول بتلاقح معرفي حاصل نتيجة تفاعل حضاري وتجاور في الزمان والمكان تم على عهد الحضور العربي الإسلامي في الرحاب الأندلسية الإسبانية، بوصفها البؤرة المكانية التي مكنت القالب المقامي من التسرب عبر قنوات الترجمة وسواها إلى بقية الأمصار والأقطار الأوروبية، ويتشكل على نحو متبلور ومتطور متجاوزا طابعا قصصيا قصيرا قد لازمه إلى نظير له روائى يصطلح على تسميته عربيا برواية الشطار.

في مقابل ذلك، يقف التصور السلافي للأدب المقارن عارضا لهذا التشابه القوالي الفني الموضوعاتي بوصفه شبيها عارضا، طالعا لا من بطانة تأثير كتي أو حضاري أو ما

أشبههما، وإنما تماثل ناسل وامتأت بالدرجة الأولى والأخيرة من محصلة التفاعل المادي الجدلي ما بين الإنسان ووسطه الحياتي بوصفه وحده الملهم للفكر والعبر والصيغ القوالبية، فهيمنة الإقطاع والارستقراطية -مثلهم رجالات الكنيسة - على أقوات الناس يعد في الأصل سببا ماديا متهما بالوقوف وراء تفشي أشكال التكدي والاستجداء المتماكر، إلى حد التشكل على نحو ظاهرة، وتجذرهما في المجتمع قد استرعى نظر الأدب فتكفل بها الكتبة على نحو ما لا يشاكل النموذج العربي (المقامة العربية) فلم يجاري الغرب غيرهم من العرب تأثرا وتأثيرا وإنما تماثل في البنية التحتية المفترزة للبنية التعبيرية المقولبة على نحو مقامة أو رواية شطار، فالتقاطع في أسلوب الطرح الفني مصدره تقاطع في واقع عربي مترد في التكدي وآخر غربي مترد في التكدي مثله. لكنه مع فارق في الزمن.

فالمدرسة السلافية للأدب المقارن بقدر ما لا تمنع في إجراء المقارنة نظرا لما يشرح به النصان العربي/الغربي من تماثلات وتقابلات، إلا أنها لا تستعجل القول بمبدأ التأثير والتأثير. إذ عوض الحديث عن *Influence* تؤثر عليه المدرسة السلافية لفظ *Parallèle* / الموازاة وتستاثر بوصفه لفظا أدق وفي بالعرض، شأنها في ذلك شأن المدرسة الأمريكية، إذ كلا المدرستين تصر على وضع حد لما أسماه *Adrian Marino* في مصنفه الموسوم بـ: *Comparatisme et théorie de la littérature*¹ ببدعة العلاقة النسبية *le mythe de la filiation* والاستعاضة عنه بمقولة الموازاة مع التباين طبعا في الدواعي والغايات المتوخاة التي لا بأس أن أجمالنا القول فيها في التالي:

¹ - Adrian Marino, *Comparatisme et théorie de la littérature*, Presses universitaires de France, 1988.

• إن حذر المدرسة الأمريكية للأدب المقارن حيال لفظ التأثير حذر أمله رغبة في التجاوز ولم لا الإلغاء للمظهر التاريخاني المعلمن الملازم للتصور الفرنسي المدرسي الكلاسيكي.

• أما مناداة التصور السلافي بالقفز من فوق عنصر التأثير والتأثير فقفز نحسبه أمله غائية اشتراكية مؤدلجة تحكم المادي في فهم كل تطور طارئ في واقع الناس بما في ذلك الأدبي، فالمدرسة السلافية تنزع في جملة تصورها للأدب المقارن إلى سوسولوجية أدبية بدل:

- تاريخانية تدين بها المدرسة الفرنسية.

- نظرية نقدية تقول بها المدرسة الأمريكية.

ومن رواد المدرسة السلافية نجد "ديونيز دوريزين" و"هنريك ماركيفيتش" و"الكسندر ديما" و"روبرت فايمن" و"فيكتور جيرومتسكي" الروسي الذي يعد أبرز ممثلي هذه المدرسة، وقد أجرى في الثلاثينيات والأربعينيات دراسات المقارنة حول "الملاحم البطولية الشعبية"، ولم ينح في أبحاثه منحى دراسات التأثير والتأثر الفرنسية، بل نحى منحى آخر ينسجم مع جوهر الفلسفة الماركسية التي استوحى منها "نظرية التشابه النمطي" أو "التيبولوجي" التي تُرجع أوجه التشابه إلى مستويات تطور المجتمعات، فالمجتمعات التي بلغت بناها الاجتماعية مستويات متشابهة من التطور تتشابه أيضا في بناها الأدبية، أما المجتمعات التي تتفاوت درجات تطورها، فإن بناها الأدبية تتفاوت أيضا¹ فهو يرى أن التشابهات الأدبية مرتبطة بالبنية الاجتماعية المتشابهة...لقد كان

¹ - ينظر: عبده عبود: الأدب المقارن - مشكلات وآفاق، ص: 42، 43.

التصور المروج له تصورا يطغى عليه الطابع الدوغمائي الذي لا نحسبه يقف بعيدا عن
سوسيولوجيا للأدب ما انفك يدعو إليها كل من لوسيان قولدمان وجورج لوكاتش.

المحاضرة الرابعة

الأدب المقارن والأدب العام

الأدب المقارن والأدب العام

هذا إجمال ما يمكن طرحه في عجالة درس أكاديمي عن تصور متنام لأدب مقارن ماض في التجذر المدرسي والتعدد المباحثي إلى حد يخشى عليه خشية ضرب من الموسوعية التي لإضفاف لها والتي لا نخالها إلا مهددة لخصوصيته بأكثر من طابع تسطح وتسبب وفضفاضة عائمة، إذ لربما الشيء الوحيد الذي ظل قاسمه المشترك يوحد ما بين هذا الشتات التصوري المدرسي للأدب المقارن هو الإصرار على طابع المقارنة ذي الملمح الشائلي أو المتعدد الأطراف، أما الأدبية بوصفها نقطة ارتكاز محورية في الدرس المقارن فنحسب أن حصتها من الاهتمام حصة ماضية في التناقص والتقلص عقب اقتحام أطراف مباحثية مستجدة حلبة السباق والمقارنة، من مثل علم العروض المقارن والشعرية المقارنة Poétique comparée حتى تاريخ الأفكار Histoire des idées إنه الثمن الواجب دفعه وتغريمه لحقل معرفي يصر مريدوه ومرتادوه من دعاة التصور التطوري التواكبي Evolutionniste أن يخضعوه لقانونه القاسي Le crédo ولو أدى الفعل ذلك إلى الضرر بخصوصيته والإيقاع به في فخ الموسوعية والشمولية (Encyclopédisme) بوصفها مظهرًا مفارقاتيًا يجافي وينافي زمنًا للتخصص والتخصص الدقيق تعيشه جل الدراسات ولكم مرة خالجننا الشوق والتوق في أن يؤخذ بهذا المعيار في النظر أو التنظير لمادته مقارنة نحسبها فرع اختصاص لا جذعا نقديا مشتركا ما بين سائر المباحث الإنسانية.

فالناظر المتمعن في واقع الأدب المقارن لا محالة واقف على درس إشكاليته الكبرى تتموقع على مستوى فعل الضبط لحدوده ومادة اشتغاله أكثر مما هو قائمة على مستوى منهج معتمد كما يرى René Wellek إنها إشكالية يكاد يحصل إلى حد بعيد

معطاهما القاعدي سؤال من قبيل طرحه الباحث الروماني Adrian Marino في مصنفه الأنف الذكر والذي لا بأس إن أعدنا طرحه بصياغته الأجنبية: *Ou finit le comparable? Ou commence le comparable ?* إنه بيت القصيد في عريضة اتهام لأدب مقارن كاد أن يصبح كل شيء ولا شيء في ذات الوقت، ونحسب أن جوهر الإشكال قائم متموضع على مستوى الفهم والادراك لما يعنيه الشق الأول من الثنائية اللفظية المشكلة للمصطلح، والذي يتبين ضيقا واتساعا من طرف مدرسي إلى آخر. فالأدب لفظا قد أول تأويلا أكثر من وجه. حتى اننا لحسبه كاد يعود بدلالته الفضفاضة إلى معنى قديم لهذا الاصطلاح والذي عرض لتناميه التاريخي (R/Wellek) في مقالة ترجمها وضمنها الدكتور شفيح السيد في كتابه " فصول من الأدب المقارن" فاللفظ في بدايات استخداماته أشر فيما أشر على ما يلي:¹

1. الإنجليز: فاللفظ في بداياته اصطبغ بمعنى المعرفة في شموليتها Learning والثقافة الأدبية Litrary Culture كما أشر اللفظ قدما في التراث اللاتيني – فيما يذكر روني ويللك- مترجما قواعد اللغة اللاتينية.
2. أما فرنسيا: فاللفظ ظل مراوحا متأرجحا ما بين معنى الفنون الجميلة على الأقل عند " فولتير" في كتابه عن " عصر لويس الرابع عشر" ومعنى الفصاحة والشعراء وكتب الأخلاق والتسلية، ولم تضق الدائرة الدلالية للفظ ذاك ليكتسب معناه الحالي، فيما يذكر " ويللك" إلا على يد " كارلو ديننا" الذي يورد عنه القول التالي: بأنه لن يتكلم عن تقدم العلوم والفنون التي ليست جزءا من الأدب بالمعنى الصحيح وإنما سيتكلم

¹ - شفيح السيد، فصول من الأدب المقارن، دار الفكر العربي، القاهرة، 1990، ص:12.

عن أعمال من المعرفة تنتمي فقط إلى الذوق الجيد والفصاحة. وبعبارة أخرى إلى الأدب.¹

إنه خلط مفاهيمي تعاقبت ظلاله على لفظ "أدب" فيما تعاقب عليه من مضامين طوال صيرورة للتاريخ لم يفلت من تبعثها تاريخ اللفظة في المعجم العربي. وما استذكارها رحلة تاريخية في هذا المقام إلا لما لاحظناه من تعدد لمناحي اختصاصية ألحقت إلحاقا مشبوها أو مشينا باصطلاح "أدب" فكاد حاصل هذا الفهم المتشعب أن يعود القهقري باللفظ إلى أيام خلت كان لفظ "الأدب" يعني المعرفة في مجملها وأغلب فروعها.

والسؤال: أتكون قد حقت كلمة "العودة على العقب" بلفظ الأدب ليصبح دالا على شمولية معرفية لا تبقي ولا تذر لباقي الحقول الدراسية مجالا لاختصاص؟ وهل ينطبق هذا الفهم لماهية الأدب على مادتنا فتصبح مبحثا جامعا مانعا لكل ضروب المقاربة ومدارسة النصوص؟

هذا ما لا نرتضيه لمبحث نريده اختصاصا ضمن حقل النقد، وليس نقدا قديما بتسمية جديدة كما يساورنا ونحن نعم النظر في مقومات وبنود لائحة الاعتماد لما عرف بالمدرسة الأمريكية.

هذا وإن تشخيص الداء يستلزم من صاحبها اقتراح البدائل التصورية الكفيلة بمعالجة هذا الضرب من التضخم في الرأسمال الرصيدي لمادتنا والرأي عندنا أن لا ضير ولا ضرار إن عمد إلى إعمال النظر مجددا في شمولية هذا الدرس الأكاديمي والسعي بجد واجتهاد إلى حصريل ومحاصرة مناطق نفوذه في حقل بعينه من مثل حقل التأثر والتأثير

¹ - شفيح السيد، فصول من الأدب المقارن، ص: 12.

الذي كان وما فتأ يعرف به الأدب المقارن، أو المصادرية و التيماتولوجيا مثلاً، هذا على ان تستقل بقية المباحث استقلالاً فسيتفرد الأدب العام بمجال اشتغال خاص به مثله الأدب العالمي أو نظرية الأدب وما إلى ذلك من الحقول المتحاذية، إن هذا التضييق من شأنه فيما نعتقد أن يحصر النقاش ويمضي التدارس لجملة المشاكل المثارة في اتجاه العمق والتدقيق، ولم التقليل من حجم الخسائر.

أما أمر الإلحاق للأدب العام *Littérature générale* بالأدب المقارن كما هو وارد في تسميات المعاهد وعناوين المجلات والكتب الأكاديمية فإرداف تتابعي يتعين إعادة النظر في طابعه الزوائدي إذا كنا نود ونريد المضي بالأدب المقارن في اتجاه التخصص ومن ثم تخلص حقل اشتغاله المعرفي من الكثير من الشوائب والتداخلات الاختصاصية التي لم يعد الوضع التآزمي للأدب المقارن في حاجة إلى ظلها الثقيل.

فإذا نظرنا إلى الأمر من وجهة نظر التعليم ، رأينا أن تعليم التاريخ الأدبي الحديث لن نكون كافياً ما لم يعتمد على نتائج الأدب العام ، ولو في صورة أولية ، فلا جدوى من درس في الأدب الفرنسي أو الإنجليزي أو الألماني بدون أن يوصل بغيره من الآداب ، ولا أسخف من إعطاء صورة تاريخية ، ولو موجزة ، للمأساة الفرنسية مثلاً - على كونها نوعاً قومياً في جوهره - بدون وضعها في تاريخ الأدب الأوربي عامة.¹

فالبحت عن أسلوب للحسم في التنازع الاختصاصي القائم ما بين الحقول المتحاذية يستوجب في البدء جعل حد لأداة العطف (الواو) التي يكاد مبحث الأدب المقارن ينفرد بها دون سواه من أساليب المقاربة الأدبية والذي قد لا يبرره طابع لا تجانسي لمقامات اختصاص ما بين مجالين متماثلين *Semblables* لكن غير

¹ - ينظر: فان تيجم، الأدب المقارن، ص ص: 179، 180.

متطابقين Identiques بالمفهوم الرياضي للهندسة الإقليدية، فالحسم في التركة بإعادة الصياغة لمجال الاختصاص لكل من الأدب العام والأدب المقارن شأن لا يحتمل مزيدا من التأجيل وإلا عمد إلى ذلك أناس من خارج الاختصاص وتوازعوا في صمت وفي ظل الأزمة المقارنة قطاعات عدت من صميم الدرس المقارن ونعني بذلك على نحو التمثيل لا غير ما عرف عند كريستيفا وريفاتير بمبحث التناص: Intertextualité وعرفت كريستيفا التناص (Intertextualité) بأنه: "تبادل النصوص (Permutation) في فضاء نص مفعول أحدهما ويبطل تقاطع أخرى نصوص من مقتبسة كثيرة ملفوظات الآخر!"¹

والذي يعود عائدته شأنه شأن "جمالية التلقي" إلى الريع الأول للأدب المقارن، فالحاجة ماسة إذن إلى مراجعة خريطة اختصاص لأدب مقارن كثرت في إطارها أسهم التوجيه إلى حد لم يعد معه بوسع بوصلة الباحث المختص أن تتعرف إلى الشمال الفعلي ضمن تعدد "الشمالات" بحكم الاجتهادات الفردية ولربما غير المدروسة أو المؤسسة.

إنه تصور ولا غير، تصور نظرحه بغية الإسعاف لمبحث أكاديمي يزرح تحت عبء التعدد الاختصاصي ناهيك عن التباين المنهجي والذي لانحسب مجموعها يخدم مستقبل هذا المبحث.

لذا الرأي عندنا هو السعي الدؤوب إلى تخليص الأدب المقارن من آثار موسوعية Encyclopédisme لا نخاله يخدم طابعه الاختصاصي ومثل هذا القول لا يعني معادة كل رغبة صادقة في إثرائه من لدن ذويه ومريديه والمؤمنين بخصوصيته، وفي هذا الصدد مثلان لا اعتراض لدينا أن يرفد مجال اختصاصه ببعض ما طرحه التصور المدرسي

¹ - أنور المرتجي، سيميائية النص الأدبي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، (د ط)، 1987، ص: 91.

الأمريكي فيعمد مثلا إلى تدارس علاقات تفاعلية تم ضبطها بالدليل التاريخي ما بين الأدب وأشكال التعبير الجميل، رسما أو نحتا أو سواه والمسوغ المنطقي لمثل هذه المقارنة ما شهدت به مدونة التاريخ الأدبي من كون أن عددا من النصوص الأدبية التي لا يستهان بها لم تنطرح من رحم نصوص أدبية محضة وإنما أنتجها تنافذ تأثيري تأثري مع لوح أو منحوت أو تأليف نغمي. ولا غرو في ذلك ولا ضرار ما دامت البدايات للكتابة كانت في الأساس رسما تشهد عليه ما تضمنه الخط الصيني *Idéogramme chinois* والكتابة الهيروغليفية وسواهما على السواء، بل إن القراءة في الجذر الاشتقائي للفظ " الأدب " *Wen-Xue* في اللغة الصينية القديمة كما يعني ذات الوقت الحرف والرسم ففيما ننقل عن R. Escarpit أن لفظ *Wen-Xue* مشكل من شقين:

- الأول : *Xue* ويعني مدرسة أو ما يناظر ملحقة *Logie* في اللغة الفرنسية
- في حين أن اللفظ الثاني *Wen* الذي كانت ترافقه على الدوام مفردات *Mo* وتعني الحبر أو تلك الأخرى ليتشكل في جمعها لفظ من قبيل *Wen- Mo* يعني حرف المداد أو *Wen- Bi* ويعني حرف الريشة وكلا اللفظتين تعني الأدب.

وبناء على ما سبق لا بأس أن تفتح دائرة الاشتغال في الأدب المقارن على مجالات للكتابة إن تعددت أو اختلفت وسائلها فإن مقاصدها موحدة بداياتها في مقام كتابي بعينه وقبل أن تنفصل عن بعضها في أزمنة لا حقة لكن مع بقاء تحاوراتها قائمة وإن على موجة خفيضة لا تظالها كافة الأذان. وفي ذلك التفاعل ما بينهما وفي طابعها الفني الجميل ما يشفع لها ويأذن بإدراجها ضمن العناصر القابلة للمقارنة فيما بينها ودون أن تمس حرمة للأدب المقارن بأذى كما هو الشأن مع دعاة التطوير والتثوير للدرس الأدبي المقارن الذين يتعين تذكيرهم بحدود مهمة لهم هذه حتى اللحظة ضررها أكبر من نفعها

ولا نحسبها إلا جنت أيما جناية على مجال اختصاص أرادوا له أن يكون كل شيء ونخشى شر ما نخشاه عليه فيما يخصنا أن لا يكون أي شيء.

المحاضرة الثامنة

مفاهيم الناثر والناثر في الأدب المقارن

مفاهيم التأثير والتأثير في الأدب المقارن

ما من مفهوم من مفاهيم الأدب المقارن حير الدارسين والنقاد مثل مفهوم "التأثير والتأثير" وهناك خلاف واسع بين دارسي الأدب المقارن حول معنى هذا الاصطلاح واستخدامه بل جدوى دراسات التأثير ذاتها، مما نتج عنه تطرف كبير في المواقف النقدية، بتراوح بين الرفض التام لفكرة التأثير إلى قبول ما يسمى بدراسات التوازي.

ويصل الأمر إلى درجة أن بعض كبار علماء الأدب المقارن يخلطون بين دراسات التأثير ودراسات الاستقبال، أي تلك الدراسات التي تعنى باستقبال العمل الأدبي ودراسته خارج حدود لغته القومية، فيرى " فان تيجم" مثلا وهو أحد كبار المنظرين للأدب المقارن بل رائدهم جميعا فيقول: " في التطبيق نجد أن دراسة تأثير كاتب ما في بلد أجنبي يرتبط ارتباطا وثيقا بدراسة استقبال أعمال هذا الكاتب وتذوقها في ذلك البلد الأجنبي"¹ حتى أنه يصبح من المستحيل في أغلب الأحوال الفصل بين المصطلحين، أما " جويار" فيتفق مع " فان تيجم" في النظر إلى التأثير بوصفه واحدا من عدة ظواهر أدبية يجب دراستها في إطار استقبال أعمال الكتاب خارج حدود بلادهم ولهذا نجده يدرج دراسة ظواهر أدبية أثر الدراما الشكسبيرية على الرومانسيين الفرنسيين أو انتشار أفكار فولتير في أوروبا وهي جميعا دراسات تقع في نطاق " الاستقبال" وليس تحت دراسة التأثير،² وأما ج. م. كاريه وهو أحد الدارسين الكبار للأدب المقارن من المدرسة الفرنسية فيلقي ضللا كبيرة من الشك على جدوى دراسات التأثير ويصفها بأنها غالبا ما تكون خادعة أو على أقل تقدير صعبة التداول وهو بهذا يريد أن يوحي إلينا أن ميدان دراسات

¹ - سمير سرحان، مفهوم التأثير في الأدب المقارن، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد3، 1982، ص:26.

² - المرجع نفسه، ص:26.

التأثير برمته هو ميدان لا يمكن أن يصل فيه الدارس إلى شيء من اليقين العلمي. ويجب الكف عن البحث فيه والاستعاضة عنه بدراسات الاستقبال.¹

ومن الجانب الآخر يشعر بعض الدارسين أن مفهوم التأثير هو مفهوم فضفاض إلى حد كبير بحيث يمكن استخدامه أو إساءة استخدامه في دراسة دوائر واسعة من العلاقات الأدبية، فنجد الدارس الأمريكي المصري الأصل "إيهاب حسن" مثلاً يشكو من أنه "يطلب من مفهوم التأثير أن يبرر وجود أي نوع من أنواع العلاقات الأدبية بدء من العلاقات القائمة على الصدفة المحضة وانتهاء بالعلاقات القائمة على حقائق ثابتة وبين هذين الطرفين عدد آخر من العلاقات الوسيطة."²

ومع ذلك فإن المناقشة الواسعة التي تدور حول مفهوم التأثير إن دل ذلك على شيء فهي تدل على الأهمية القصوى لهذا الميدان من ميادين البحث في الأدب المقارن والحقيقة أن الأدب المقارن عندما نشأ كفرع من فروع التاريخ الأدبي يتناول العلاقات المتبادلة بين أكثر من أدب قومي. كان مفهوم التأثير أحد المفاهيم الرئيسية في هذا الميدان الجديد من ميادين الدراسات الأدبية، وكما يقول الدارس الأمريكي "هاسكل بلوك" في ضوء طبيعة الدراسات المقارنة في الخمسين سنة الماضية، يصبح ما فعله "جوستاف رودلر" في مناقشته لأساليب البحث النقدي عندما سوى بين الأدب المقارن ودراسات التأثير مفهومًا ومبرراً وهو أحد أساليب الدراسات الأدبية المستقاة من دراسة التاريخ القومي لأدب ما. ويكفي أن نفتح أي صفحة من صفحات كتاب "بالدنسبرجر" (ثبت

¹ - سمير سرحان، مفهوم التأثير في الأدب المقارن، ص: 26.

² - المرجع نفسه، ص: 26.

مراجع الأدب المقارن) لندرك الدور الرئيسي الذي تلعبه دراسات التأثير في هذا الميدان.¹
الميدان.¹

ويهدف هذا التوضيح إلى دراسة الجوانب المختلفة لفكرة " التأثير " في الأدب المقارن محاولا تشخيص المشكلة والوصول إلى تعريف جديد، أو بالأحرى إعادة تعريف لدور التأثير في الدراسات المقارنة، ولذلك يجب في بداية الأمر أن نزيل من طريقنا بعض المفاهيم المغلوطة وبعض الخلط في تحديد الأمور.

- الخلط الأول: وهو ذلك الذي يحدث غالبا بين دراسة التأثير داخل الأدب القومي الواحد، والتأثير كميدان من ميادين الدراسات المقارنة، فكبار الدارسين مثل " رينيه ويليك " يقولون أنه لا يمكن أن يكون هناك فرق حقيقي بين دراسة تأثير راسين على برناردشو، ودراسة تأثير وردزورث على شيلي، ولا يوجد فرق بين دراسة تأثير شكسبير في الأدب الانجليزي في القرن الثامن عشر وتأثير شكسبير في الأدب الفرنسي في نفس القرن وهذا المفهوم لدراسات التأثير يقع خارج نطاق الأدب المقارن تماما، وذلك لأن الأصل في وجود الأدب المقارن تعريفا ووظيفة هو كما يقول " هنري ريماك " دراسة العلاقات الحقيقية بين الأدباء من جنسيات مختلفة، أو بين الأدباء من جانب وبلد أجنبي (أو بلاد أجنبية) من الجانب الآخر.

وبالرغم من أن قضية العلاقات الحقيقية الواقعية هي من القضايا التي يدور حولها النقاش الواسع عند تحديد مفهوم التأثير، كما سأحاول أن أبين في هذه الفقرة بان مفهوم التأثير ذاته يفترض مسبقا وجود علاقة بين كاتبين أو علمين أدبيين ينتمي كل منهما إلى

¹- Haskell M. Block, The Concept of Influence in Comparative Literature, " Yearbook of Comparative and General Literature, VII (1958), p :31.

أدب قومي يختلف عن الآخر والأمر هنا لا يقتصر على منهجين من مناهج البحث يتبن أحدهما عن الآخر بأنه يدرس أعمالا مكتوبة بلغتين مختلفتين مما يشجع الدارس على تناول دور الحاجز اللغوي كما يقول الدارس الأمريكي الألماني الأصل " اورليش فايشتاين" والفرق الأساسي بين دراسة التأثير داخل أدب قومي واحد أو بين عدة آداب مختلفة لا يكمن فقط في محاولة تحديد الدور الذي يلعبه حاجز اللغة ، وإنما يكمن في اختلاف المنهج اختلافا واضحا. وفي هذا الصدد يقول " هاكسل بلوك" في رده على " رينيه ويليك " " هناك فارق جوهري بين دراسة تأثير إيسن - مثلا - على شو من وجهة نظر مقارنة ودراسة تأثير وردزوث على شيلي من وجهة نظر دارسي الأدب الانجليزي، ففي الحالة الأولى على دارس الأدب المقارن أن يتناول الموضوع في شمولية وعمق يجعل من الممكن (بالنسبة له) أن يوضح جوانب هذه العلاقة ودلالاته بالنسبة لفن الدراما وتاريخها معا.¹

وفضلا عن ذلك فإن " بلوك" يبين بحق أن دراسة التأثير داخل أدب قومي معين لا تستطيع أن تحيط بالمنظور الأشمل للتقاليد الأدبية والأجناس الأدبية التي هي بطبيعتها ليست ملكا لأدب قومي واحد، ولهذا فبالرغم من أن دراسة تأثير (ما لا رمية على بول فاليري) مثلا تقع في نطاق الأدب الفرنسي، فإننا إذا تناولنا مثل هذه الدراسة من منظور دارسي الأدب المقارن فسوف تكشف لنا الكثير عن الحركة الرمزية بوصفها حركة من حركات الأدب الأوروبي أو بالأحرى كجزء من الأدب الغربي ككل.

الخلط الثاني: ينشأ عن الخلط بين دراسات التأثير ودراسات الاستقبال. فالمدرسة الفرنسية في الأدب المقارن تعتبر هذا الميدان كما يقول " هنري ريماك" ميدانا للدراسات

¹ - ينظر: سمير سرحان، مفهوم التأثير في الأدب المقارن، ص ص: 31، 32.

التاريخية وليست الدراسات الجمالية، أو النقدية وإنه - أي الأدب المقارن - يجب أن يهتم فقط بالحقائق الثابتة أي العلاقات الحقيقية الواعية التي يمكن التحقق من وجودها بين الأدباء والأعمال والقراء والمتلقين من جنسيات مختلفة.

وقد أدى إصرار دارسي الأدب المقارن الفرنسيين على العلاقات الحقيقية إلى نشوء مفهوم للتأثير يحتم وجود علاقات ثابتة يقينا يمكن البرهنة على وجودها بالدليل المادي القاطع بين الكاتب المؤثر والكاتب المتأثر أو الأعمال في بلد أجنبي، إذ أن هذه المدرسة تعتبر مهمة دارسي الأدب المقارن اصطياذ جميع أنواع المعلومات والوشائج والخطابات المتبادلة والاتصالات الشخصية التي تثبت وجود التأثير على وجه اليقين.

وهذا المنهج من مناهج دراسة التأثير يميل كما سنوضح فيما بعد إلى تجاهل القيمة الجمالية للعمل الفني من أجل التوثيق التاريخي، الذي يأخذ في اعتباره بالضرورة استقبال أعمال الكاتب المؤثر في بلد أجنبي معين، ولهذا نجد " فان تيجم" وهو من رواد المدرسة الفرنسية وكان أول من قدّم لنا دراسة شاملة عن الأدب المقارن ، بطريقة منهجية ومنظمة . صدر كتاب بول فان تيجم عام 1931 ، وترجم إلى لغات عديدة. وكان تأثيره كبيراً في دارسي الأدب المقارن في العالم¹ يصر على أن دراسات التأثير لا يمكن فصلها عن دراسات الاستقبال ولكنه يلاحظ في الوقت نفسه أننا يجب أن نقصر استخدام هذا المصطلح (التأثير) على دراسة المؤثرات والتغيرات التي يخضع لها عمل كاتب معين عندما تنشأ بينه وبين كاتب آخر من بلد أجنبي علاقة أدبية.

ويميل المرء إلى الاعتقاد بأن الرائد الفرنسي الكبير في تعريفه السالف الذكر للأدب المقارن يعني دراسة القيمة النوعية والجمالية التي تنشأ من وجود مثل هذه

¹ - ترجمه إلى العربية أولاً الدكتور سامي الدروبي ، ثمّ ترجمه سامي مصباح الحسامي مرة ثانية.

العلاقة. ومع ذلك فإن مفهوم " فان تيجم " لا يشتمل على دراسة القيمة الجمالية للعمل الفني الذي يمكن للدارس أن يكتشف فيه دلائل على وجود تأثير فعلي. فهذا أبعد شيء عن تفكيره. ولذلك نجده يسارع إلى تحذيرنا من اللجوء إلى البحث المسطح عن وجود تفاصيل متشابهة في عمليين أدبيين تجري المقارنة بينهما على أساس من مصادر فكرية واحدة.

ويصر " فان تيجم " على أن دراسة التأثير لكي تؤتي ثمارها حقاً، لا بد أن تعتمد على العلاقات الشخصية الفعلية بين الكاتب وموضوع المقارنة التي أثبتتها بالوثائق والأدلة. وهذا لا يتأتى مرة أخرى إلا بمحاولة الدارس أن يتتبع مصير العمل الأدبي واستقباله في بلد أجنبي.

وهذا الخلط بين دراسات التأثير والاستقبال ينحو نحو تجاهل الفرق الأساسي بين الكاتب المؤثر والكاتب المتأثر. ويوضح " أورليش فايسشتاين " الفرق بين دراسات التأثير ودراسات الاستقبال بشكل محدد حين يقول أن دراسات الاستقبال تركز على الكاتب المؤثر وليس على الذين يتأثرون به أو بأعماله. لذلك فإن هذه الدراسات لا تهتم بالقيمة الجمالية للعمل الأدبي وإنما تهتم في بعض الأحيان بدراسة الظاهرة الأدبية على المستوى السوسولوجي والسيكولوجي، ووحدة هذه الدراسات بوجه عام تعتمد على وحدة الكاتب المؤثر الذي تؤثر سمعته وشهرته في أدب أجنبي على جميع هذه المستويات.¹

ومن الجانب الآخر فإن دراسات التأثير تهتم أساساً بالكاتب المتأثر في محاولة لتتبع مصادر الخلق الفني وهي مهمة تعتمد أساساً على المقاييس النوعية أو الجمالية بدلاً من المقاييس الكمية التي تعتمد على جمع المعلومات والحقائق والدلائل، ويقول: " ج. ت. شوان " المقاييس الكمية التي تستخدم في دراسات الاستقبال تنحصر في البحث

¹ - ينظر: سمير سرحان، مفهوم التأثير في الأدب المقارن، ص: 28.

في (تعليقات الصحف والمجلات الأدبية) والمذكرات الشخصية وكذلك في الإشارات والتلميحات التي نجدها في العمال الأدبية ذاتها ويمكن قياس الاستقبال أيضا بإحصاء مبيعات أعمال الكاتب موضوع الدراسة في البلد الأجنبي وبعده الطبعات التي تنشر من كتبه وحجمها في البلد. وكذلك بعدد الترجمات التي تترجم لأعماله إلى لغة ذلك البلد الآخر، ويمضي: "ج. ت. شوان قائلاً: علينا أن نفرق بشدة بين استقبال كاتب أو أعماله في ثقافة قومية معينة وبين التأثير الأدبي.

وذلك بالرغم من أن الاستقبال على وجه التأكيد يمكن أن يهيأ الدوافع أو الوسائط التي تؤدي إلى حدوث التأثير. ويمكن أن يصبح كاتب من الكتاب شديد الشهرة في بلد آخر لا يمارس تأثيراً ذا بال في أدب ذلك البلد".

وتوضح الأستاذة "آنا بالاكيان" في معرض مناقشتها للفرق بين التأثير والاستقبال بوصفهما مفهومين مختلفين من مفاهيم الأدب المقارن، كيف ان استقبال العمل الأدبي لكي يصبح تأثيراً حقيقياً لا بد أن يمر بعدو مراحل حتى يصبح في النهاية جزءاً لا يتجزأ من ديالكتيك الابداع الخاص وفي هذا الصدد تستشهد "بالاكيان" بالمثال الشهير وهو تأثير الكاتب الأمريكي "أدجار آلا نيو" على "بودلير" بوصفه دليلاً مادياً على الفرق الجوهرية بين استقبال كاتب أو تيار أدبي وبين تأثير أساسي حقيقي. فلا يمكن مثلاً أن نتعتبر ترويج مدام دي ستال للرومانسية الألمانية في فرنسا تعصيلاً لـ "فكتور هوجو" و"ستندال" وغيرهما من الرومانسيين الفرنسيين الذين كانوا يهدفون إلى تحرير الأدب الفرنسي من التقاليد الكلاسيكية.¹

¹- Ulrich Weisstein, Comparative Literature and Literary Theory, Bloomington, Indiana University Press, 1968, P: 35.

لا يمكن اعتبار ذلك الجهد الذي قامت به " مدام دي ستايل " من قبيل تأثير الرومانسية الألمانية على الرومانسية الفرنسية، فهل هذا الجهد يندرج على وجه الدقة تحت دراسات الاستقبال، ولم تصبح الصوفية الألمانية مثلاً وعبادة الأشياء الغربية التي تثير الدهشة والغرابة والعجب في متناول شاعر مثل " بودلير " إلا بعد مراحل طويلة. وعندما تأثر بودلير بها جاء التأثير من خلال وسيط ثالث هو " أدجار آلا نبو ".

وتدور المناقشة الواسعة حول مفهوم " التأثير " حول منهجين مختلفين في تناول المشكلة فالأول يتعلق بالبحث التاريخي في أصول التأثير والآخر منهج نقدي صرف، ويفترض المنهج الأول مسبقاً أن حركة التأثير هي من كاتب إلى آخر أما المنهج النقدي فيعتبر أن التأثير الحقيقي لا بد أن يتجلى في الأعمال الأدبية ذاتها ولذلك فإن حركة التأثير هي من عمل أدبي إلى عمل آخر وليس من شخص إلى آخر، ويقول " ج. ت. شوان " وهو من غلاة المدافعين عن المنهج النقدي في دراسة التأثير: " لا بد لكي يكون للتأثير معنى أن يتجلى في شكل محدد داخل الأعمال الأدبية ذاتها، ويكمن أن يتجلى التأثير في الأسلوب أو الصور الفنية أو الشخصيات نفسها أو اللوازم الخاصة ويمكن أيضاً أن يظهر التأثير في المضمون أو الفلسفة أو الأفكار أو الروح العامة التي تسيطر على عمل أدبي بعينه"¹.

وطبقاً لهذا الرأي فإنّ دارس التأثير لا ينبغي أن يحاول فقط تتبع العلاقات التي يمكن إثباتها والبرهنة عليها بالدليل المادي بين الكاتب المؤثر والكاتب المتأثر ولكن عليه أيضاً أن يستخدم المقاييس النقدية لتقييم ما قد يطرأ على العمل الفني من تغيرات عندما يكون صاحبه على اتصال بالأعمال الفنية لكاتب أجنبي.

¹ - anna balakian, influence and literary fortune :the Equivocal Juncyion of the two Methods, Yearbook of Comparative and General Literature, 11 (1962), P :26.

وقد نشأ عن المنهج القائم على دراسة الأصول التاريخية للتأثير والعلاقات الفعلية بين الكتاب عدة مشكلات تهدد برفض المنهج النقدي تماما، باعتباره منهجا غير ذي جدوى في دراسة التأثير، وفي هذا الصدد يقول إيهاب حسن: "هناك تفسير حديث يصر على أن المجال الصحيح في مدارس التأثير هو شخصية الكاتب ونفسيته كإنسان، أما دراسة أعماله الأدبية فيجب أن تكون داخل الأدبية وحدها التي لا تحكمها سوى مقاييس النقد الأدبي، تلك التي تعتبر العمل الفني كائنا مستقلا بذاته".¹

ويبدو من الكلام أنّ إيهاب حسن لا يؤيد دراسات التأثير التي تعتمد على العلاقات بين الأعمال الفنية، إذ نجده يصر في نفس المقال على أننا لا نستطيع القول بأن هناك عملا فنيا قد أثر على عمل آخر دون وسيط بشري. وهذه الحجة التي يسوقها هي بطبيعة الحال حجة يمكن الدفاع عنها، لكنه يتجاهل فيها حقيقة جوهرية وهي أن التفرقة بين المنهجين هي مشكلة من مشكلات مناهج البحث فالقول أنه لا يمكن التأثير إلا من خلال وسيط بشري (أي الكاتب نفسه) هو محض خلط للأمور، بحيث يغرق الباحث في اللعب بالألفاظ والتعريفات دون دخول حقيقي في لب المشكلة، وحجر الزاوية في منهج البحث في الأصول هو النظرية الفرنسية القائمة على العلاقات الحقيقية، أو ما يسميه الأستاذ الأمريكي الكبير "هاري ليفين" بالعلاقات الخارجية بين كاتب وكاتب وهو مفهوم التأثير الذي يعتمد على البحث في العلاقات التي يمكن البرهنة عليها بالوثائق والأدلة بين الكاتب والذي ينتهي إلى إثبات حقائق ومعلومات محددة، وهذا المنهج يتعارض بشدة مع منهج النقد الحديث الذي يقضي بضرورة تقييم العمل الفني ككيان قائم بذاته ومستقل عن حياة الكاتب ويقول "هنري ريماك": يرى معظم دارسي الأدب المقارن من المدرسة الفرنسية أن منهج (النقد الحديث) ينظر بنظرة ضيقة

¹ - ينظر: سمير سرحان، مفهوم التأثير في الأدب المقارن، ص: 29.

إلى العمل الأدبي بوصفه كيانا مستقلا بذاته، منهج جمالي بل رجعي يعود بالمقارنة إلى المنهج القديم ذلك الذي يدافعون عنه والذي يتناول الجوانب الديناميكية للظاهرة الأدبية (مونتيانو 1953)، ولذلك فمن المهم أن نلاحظ أن الدراسات المقارنة الفرنسية بصفة خاصة تهتم أساسا بالمنهج القائم على العلاقات الفعلية.¹

فأصحاب المدرسة الفرنسية في محاولتهم لتحويل الدراسات الأدبية إلى علم يفرض احترامه تشبثوا في مجال دراسات التأثير بالأدلة التي يمكن البرهنة عليها علميا أثناء عملية البحث، واعتبروا أن الدخول في أي عمليات لتقييم العمل الفني جماليا ضرب من ضروب الدخول في البحث من احتمالات قابلة للصدق والكذب، ومن ثم فهي غير علمية، ويكفي أن نورد العبارات المتفرقة التالية التي وردت في كتابات أصحاب المدرسة الفرنسية في الأدب المقارن لدل على تمسكهم بما يعتقدون أنه الروح العلمية في البحث.²

لابد لدراسات الأدب المقارن أن تكون علمية (رودير 1953) ولا بد أن يتناول الأدب المقارن العلاقات الفعلية التأثير الثابت وتبادل الخطابات بين الكتاب والتغيرات التي تطرأ على العمل الأدبي نتيجة للتأثير.. (هازار) والمدرسة الفرنسية بما تميل إليه من الدقة العلمية في البحث تنظر إلى الأعمال الأدبية بوصفها مادة أولية موضوعية للبحث العلمي وربما كان التعريف الشهير للأدب المقارن الذي أورده أحد أعلام هذه المدرسة وهو " جون مارييه كاريه " أوضح هذا الأخير الموقف الفرنسي في هذا الصدد فهو يصف بدقة بالغة نظرة المدرسة الفرنسية إلى دراسات التأثير بصفتها أحد وجوه التاريخ الأدبي، فيقول: الأدب المقارن هو فرع من فروع تاريخ الأدب ويشتمل على

¹ - ينظر: سمير سرحان، مفهوم التأثير في الأدب المقارن، ص:30.

² - المرجع نفسه، ص:30.

دراسة العلاقات الوجدانية بين الأمم والعلاقات الفعلية القائمة بين الأعمال الأدبية ومصادر إلهامها وحياتها كتابها في أكثر من أدب قومي.¹

وهذا التشدد العلمي من جانب أصحاب المدرسة الفرنسية يقابله محاولة دارجي الأدب المقارن من المعاصرين لتوسيع دائرة مفهوم التأثير حتى داخل حدود منهج العلاقات الفعلية، فالمنهج الذي يؤكد ضرورة إثبات التأثير بالوثائق والحقائق أو ضرورة البرهنة على وجود علاقات فعلية ينظر إليه الآن باعتباره منهجا ميكانيكيا غير كاف للإحاطة بكل الجوانب العملية للتأثير الفعلي.

وتقول بالاكيان إنَّ حالة الترجمات الفرنسية التي قام بها " أندريه جيد " وآخرون لأعمال الشاعر الإنجليزي " ويليام بليك " فإنها تغير كثيرا من النص مما يؤدي إلى إحداث تأثير زائف، ولكن هذه الترجمات ذاتها تضيف نظرة جديدة على أعمال " بليك " وتجعل منه كاتباً آخر وزعيماً من زعماء الفن الحديث ينافس قامة " مالارميه " و " بيكاسو ". ويعتبر التأثير غير المباشر وهو المفهوم الذي روج له الأستاذ " شو " أحد المفاهيم التي ترتبط بنظرة " بالاكيان " في التأثير الزائف، فقد بدأ أحد المؤلفين يبرز أدبيا بتقديمه لكاتب أجنبي، كما هو الحال مثلاً في تقديم " بوشكين " لتراث الشاعر الإنجليزي " بيرون " في روسيا. ولكن كما يقول " شو " مع استمرار انتشار هذا التراث الأجنبي قد يحدث أن يأتي كاتب محلي فيضيف إليه ويثريه وذلك بالعودة إلى الأصل الأجنبي بالبحث عن دلالات موحية أو صور فنية لم يلتفت إليها المؤلف المحلي الأول. فمثلاً نجد أن " مونتوف " تأثر بالقص الشعري البيروني لبوشكين ومؤلفين آخرين، ولكنه رجع مباشرة لخصائص بيرونية أهملها بوشكين أو عدلها.²

¹ - ينظر: سمير سرحان، مفهوم التأثير في الأدب المقارن، ص:30.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص:31.

ألا أنفه

يلاحظ أن كلا من المفهومين - التأثير الزائف/ التأثير المباشر- يعتمد على نظرية واحدة هي تشويه عمل الكاتب المؤثر من خلال الكاتب المتأثر أو الترجمة الخاطئة مما ينتج عنه ظهور تيار أدبي جديد .

وتحذرنا " انا بالاكيان " مما تسميه بالتأثير المجهض وفي هذا النوع من التأثير قد يحدث أن يجذب كاتب عملاق مجموعة من المؤلفين أقل موهبة منه ، فيحاولون تقليده وقد يحدث أن تأثير هذا الكاتب العملاق بتجربته قد يضع الكتاب في نفس مستواه من الامتياز الفني، ولكن لا يتم الكشف عن القيمة الحقيقية لأعمالهم إلا من خلال " البعد الزمني أو الجغرافي" وحسب بالاكيان ما الذي دفع عددا كبيرا من الكتاب يلتفتون حول مالارميه في 1880 ، أوندري بريتون في 1920 غير عبادة البطل وشهرة كتبه ومثلهم الأعلى ، واتجاه أدبي جديد يعلن عن نفسه ويغزو الحركة الأدبية كالسيل الجارف يغرق ما عداه ولكنه لا يتغلغل في التربة أو يرويهها ، فالأفكار المنهمرة كالسيل قد تقع في قلب الكاتب والتلميذ لكن لا تساعد في تنمية مواهبه.أي أنه مهما كان تأثير ذاته، لكن المشكلة الدقيقة التي يتعرض لها دارسوه - يناقش الأستاذ الأمريكي الايطالي " كلود بيشوا"- الفعلي المعتمد على صلات موثوق بها بين الكاتب ن وذلك في مقال له بعنوان "جماليات دراسات التأثير في الأدب المقارن" وهو من المقالات الرئيسة للمناقشة الدائرة حول مفهوم التأثير.

ويرينا " هاسكل بلوك" في دراسته الممتازة لاستخدام التأثير أنه في بعض الأعمال التي يمكن التدليل فيها على وجود تشابه بسبب انتمائها إلى تراث أدبي مشترك، ويمكن أيضا أن ندلل على وجود تأثير فعلي كما هو الحال في العلاقة بين "كافكا" وسترنديج فلا داعي إذن لأن نحدد مفهوم التأثير بمنهج واحد، عندما يمكن تطبيق أكثر من منهج لدراسة التأثير.

وأود أن انهي هذا المقال بمناقشة مشكلة من أهم المشكلات التي تواجه المنهج النقدي في دراسات التأثير وهي المشكلة المسماة " التوازي " بين الأعمال الفنية.

ويقسم ج. ت. شو دراسات التوازي إلى مجالين أساسيين:

الأول: هو دراسة المادة التي يمكن إخضاعها للمقارنة في عملين أدبيين أو أكثر ويتعلق هذا المجال أساسا بالموضوعات المتشابهة أو " المتوازية " او بمعنى آخر بالمضمون،

الثاني: هو دراسة عناصر الشكل التي يمكن مقارنتها في عملين أو أكثر وفي كلا المجالين فإن هذه التوازيات لا ترجع بالضرورة إلى تراث مشترك أو إلى علاقة فعلية بين الكاتب صاحب العمل أو بين الأعمال بعضها ببعض. فقيمة دراسات النقدية في المقام الأول يلقي من خلالها العملان الخاضعان للمقارنة الضوء أحدهما على الآخر. وتبرز من خلال المقارنة الخصائص المميزة لكل منهما.

ودراسات التوازي هي ثمرة من ثمار المدرسة الأمريكية في الأدب المقارن التي تحاول كما يقول " هنري ريماك " أن تربط بين النقد الأدبي والتاريخ الأدبي لا أن تفصل بينهما. ولتحقيق ذلك تؤكد (المدرسة الأمريكية) عدم تشجيع دراسات المصادر والاستقبال والتأثير الفعلي القائم على صلات حقيقية والترويج للدراسات المقارنة التي تعتمد التوازي بين الأعمال الفنية ودراسات الموتيفات والدراسات الأسلوبية ودراسة الأجناس والحركات والتقاليد الأدبية... ولأن هذه الدراسات الأخيرة تهدف أساسا إلى إبراز القيمة الفنية للعمل الأدبي، فليس من الضروري أن يكون بين الأعمال موضوع المقارنة أية صلات حقيقية موثقة.. فالتأكيد هنا واقع على المقارنة دون النظر إلى أن المؤلف (أ) كان على صلة بالمؤلف (ب) أو أعماله عندما كتب العمل (ج).

المقارنة وسيلة وليست غاية. والغاية منها: هي إعطاء فرصة للحقول النقدية لتوسيع آفاق الدارسين وتطوير نظرية أدبية قائمة على فهم طبيعة امتدادات الأدب خارج حدوده للتمييز بين ما هو محلي وما هو إنساني مشترك.

بيبلوغرافياً شاملة في الأديب المقارن

بيبليوغرافيا شاملة في الأدب المقارن

1. المؤلفات النظرية المترجمة في الأدب المقارن:
2. بول فان تيجم : الأدب المقارن. دار الفكر العربي، القاهرة. صدر هذا الكتاب دون تاريخ، ودون ذكر المترجم. ولكنَّ الباحثين يرجِّحون صدوره في عام 1948، وأنَّ مترجمه الدكتور سامي الدروبي. وبعضهم يقول إنَّه ظهر عام 1946.
3. وقد تُرجم الكتاب عن الفرنسية مباشرة وبلغت صفحاته المترجمة 227 صفحة، من القطع المتوسط. ويعدُّ كتاب فان تيجم _ الذي ظهرت طبعته الأولى في باريس سنة 1931 _ الكتاب النظري الأول في الأدب المقارن الذي تُرجم إلى العربية. وقد أُعيدت طباعته عدة مرات. وكان آخرها عام 2000، ونشرته دار الفكر العربي في مصر.
4. ماريوس فرانسوا غويار: الأدب المقارن. ترجمة: الدكتور محمد غلاب، مراجعة: الدكتور عبد الحلیم محمود، سلسلة الألف كتاب (44)، لجنة البيان العربي، القاهرة، ط 1، 1956. (قطع متوسط، 193 صفحة). ويعدُّ كتاب غويار _ الذي ظهرت طبعته الأولى في باريس عام 1951 _ الكتاب النظري الثاني الذي تُرجم عن الفرنسية مباشرة.
5. بول فان تيجم : الأدب المقارن . ترجمة : سامي مصباح الحسامي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت بلا تاريخ. وهذه الترجمة هي الثانية لكتاب بول فان

- تيجم ، وقد جاءت في 170 صفحة من القطع الكبير، وهي عن الفرنسية مباشرة. ويُرجح الدكتور حسام الخطيب ظهور هذه الترجمة عام 1968.
6. بول فان تيجم : الأدب المقارن . ترجمة : محمد محمود الخضري ، دائرة المعارف الأدبية ، دار الفكر العربي ، دون تاريخ . ينظر الدكتور عبده عبود: الأدب المقارن. مدخل نظري ودراسات تطبيقية ، جامعة البعث ، (حمص) ، 1991 – 1992 ، قائمة المراجع.
7. ماريوس فرانسوا غويار : الأدب المقارن . ترجمة : هنري زغيب ، سلسلة زدني علماً، منشورات عويدات، بيروت، باريس ، ط 1 ، أيار(ماي) 1978 . وهذه الترجمة هي الثانية لكتاب غويار ، وقد جاءت في 142 صفحة من القطع الصغير ، وهي عن الفرنسية مباشرة . وقد ضمّن المترجم هذا الكتاب كلمة للمؤلف بخصوص ترجمة كتابه إلى العربية . وفي سنة 1988 أعادت هذه الدار نشره ثانية.
8. كلود بشوا ، أندريه ميشيل روسو : الأدب المقارن . ترجمة وتقديم : الدكتور رجاء عبد المنعم جبر ، دار العروبة ، الكويت ، ط 1 ، 1980 . تُرجم الكتاب عن اللغة الفرنسية، وبلغت صفحاته المترجمة 244 صفحة ، وقد اعتمد المترجم في ترجمة هذا الكتاب على الطبعة الثالثة الصادرة عام 1968
9. هاري ليفن : انكسارات . مقالات في الأدب المقارن . ترجمة: عبد الكريم محفوظ ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ط 1 ، 1980 . تُرجم الكتاب عن الإنكليزية ، ومعظمه مقالات تطبيقية ، وبلغت الترجمة 560 صفحة.

10. اس . اس . براور: الدراسات الأدبية المقارنة . مدخل. ترجمة : عارف حذيفة، وزارة الثقافة ، دمشق، ط1، 1986. تُرجم الكتاب عن الإنكليزية، وجاءت ترجمته في 245 صفحة.
11. ألكساندر ديما : مبادئ علم الأدب المقارن . ترجمة : الدكتور محمد يونس، مراجعة : الدكتور عباس خلف. وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة. (سلسلة المئة كتاب)، بغداد ، ط1 ، 1987 . تُرجم هذا الكتاب عن الروسية، والأصل باللغة الرومانية . وقد جاءت ترجمته في 203 صفحة.
12. رينيه إتيامبل : أزمة الأدب المقارن . ترجمة : الدكتور سعيد علوش ، المؤسسة الحديثة للنشر، الدار البيضاء، 1987.
13. دراسات في الأدب المقارن. ترجمة محمد الخزعلي، مؤسسة حمادة، إربد، الأردن، ط1، 1995. هذا الكتاب عبارة عن مجموعة من أبحاث ودراسات لعدد من المقارنين (فالتر بنجامين ، إيهاب حسن ، هاسكل بلوك ، كلوديو جوين ، رينيه إتيامبل) قام الدكتور الخزعلي بترجمتها عن الإنكليزية، وبلغت الصفحات المترجمة لهذه الدراسات 141 صفحة.
14. كلود بيشوا، أندريه ميشيل روسو: الأدب المقارن . ترجمة : الدكتور أحمد عبد العزيز . مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1 ، 1995 . وهذا الكتاب مترجم عن الفرنسية والإسبانية . وقد أعاد الدكتور أحمد عبد العزيز نشر هذا الكتاب في الدار نفسها مرة ثانية عام 1998، وفي الطبعة الثالثة التي صدرت عن مكتبة الأنجلو المصرية عام 2001 أيضاً أجرى على الترجمة بعض التعديلات وزودها بملحق عن بيبلوغرافيا الأدب المقارن في العالم .

15. بيير برونيل ، كلود بيشوا ، أندريه ميشيل روسو : ما الأدب المقارن ؟
ترجمة : الدكتور غسان السيد ، منشورات دار علاء الدين ، دمشق ، ط 1 ،
1996 . وقد صدر هذا الكتاب في فرنسا عام 1983 .
16. دانييل _ هنري باجو : الأدب العام والمقارن . ترجمة : الدكتور غسان
السيد ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ط 1 ، 1997 . وقد صدر هذا الكتاب
عن دار كولان في باريس عام 1994 .
17. عدد من المقارنين الفرنسيين : الوجيز في الأدب المقارن . إشراف : بيير
برونيل وإيف شيفريل ، ترجمة : الدكتور غسان بديع السيد ، 1999 .
18. سوزان باسنيث : الأدب المقارن . مقدّمة نقدية . ترجمة : أميرة حسن
نويرة . المجلس الأعلى للثقافة ، المشروع القومي للترجمة (128) ، القاهرة
1999 . وقد صدر هذا الكتاب في أكسفورد عام 1993 .
ثانياً: المؤلّفات العربية في الأدب المقارن:
19. عبد الرزاق حميدة : في الأدب المقارن . مطبعة العلوم ، القاهرة ، 1948 .
20. نجيب العقيقي : من الأدب المقارن . دار المعارف ، القاهرة ، 1948 .
21. إبراهيم سلامة : تيارات أدبية بين الشرق والغرب : خطة ودراسة في
الأدب المقارن . المكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، 1951 .
22. محمد غنيمي هلال : الأدب المقارن . مطبعة مخيمر ، القاهرة ، 1953 .
وقد طُبع هذا الكتاب طبعة موسعة عام 1961 ، وجاء في (454 صفحة) ،
وتوالى طبعاته فيما بعد في كلٍّ من مصر ولبنان . وكانت آخر طبعاته في

- مصر عام 2001 (نهضة مصر)، وهي مأخوذة عن الطبعة الثالثة ، وجاءت في 380 صفحة.
23. محمد محمد البحيري: الأدب المقارن . دار الطباعة المحمدية بالأزهر، القاهرة، 1953.
24. جمال الدين الرمادي : فصول مقارنة بين أدبي الشرق والغرب . بغداد، 1954.
25. محمد غنيمي هلال: دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب العربي المعاصر . دار نهضة مصر ، القاهرة ، 1956.
26. عبد السلام طاهر: نظرات جديدة في الأدب المقارن وبعض المساجلات الشعرية. مكة المكرمة، 1957.
27. محمد غنيمي هلال : النماذج الإنسانية في الدراسات الأدبية المقارنة . دار نهضة مصر ، القاهرة ، 1957 .
28. صفاء خلوصي : دراسات في الأدب المقارن والمدارس الأدبية. مطبعة الرابطة ، بغداد ، العراق ، 1957 ، (246 صفحة) ، ومعظمه تطبيقي .
29. حسين مجيب المصري: في الأدب العربي والتركي . دراسة في الأدب الإسلامي المقارن. مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1962.
30. محمد عبد المنعم خفاجي: دراسات في الأدب المقارن. ج1، دار الطباعة المحمدية بالأزهر، القاهرة ، 1963 .

31. حسن جاد حسن : الأدب المقارن . دار الطباعة المحمدية بالأزهر ، القاهرة ، 1967. (306 صفحات) . وأُعيدت طباعته مرة ثانية في عام 1975 في الدار نفسها دون تغيير.
32. محمد عبد المنعم خفاجي : دراسات في الأدب المقارن . ج2 ، دار الطباعة المحمدية بالأزهر، القاهرة، ط1، 1967.
33. محمد عبد الرحمن شعيب : في الأدب المقارن . أصوله وتياراته . جامعة عين شمس ، كلية الألسن ، القاهرة ، 1968 .
34. محمد عبد السلام كفاي : في الأدب المقارن. دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي . دار النهضة العربية ، بيروت ، 1971 ، (555 صفحة)
35. ريمون طحّان : الأدب المقارن والأدب العام . دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1972.
36. فخري الخضراوي :الأدب المقارن بين الغرب والشرق . دار التراث العربي. د.ت.، ودون ذكر مكان الطبع .وَيُرَجَّحُ ظهوره في مصر قبل عام 1973) بالاستناد إلى مراجعه . والنسخة التي بين أيدينا ناقصة الصفحات، فهي تنتهي عند الصفحة 240 ، وأظن أنّ الكتاب يتجاوز عدد هذه الصفحات بكثير.
37. عبده الراجحي : محاضرات في الأدب المقارن . دار النهضة العربية، بيروت، 1973. (197 صفحة) ، وهو كتاب نظري وتطبيقي.

38. عبد المطلب صالح : دراسات في الأدب والنقد المقارن . مطبعة الشعب ، بغداد ، 1973 . (133 صفحة) ، وهو مقالات تطبيقية كما يذكر الدكتور الخطيب.
39. محمد غنيمي هلال : في النقد التطبيقي والمقارن . دار نهضة مصر ، الفجالة ، القاهرة ، (من المرجح ظهوره عام 1974) ، ويقع في (197 صفحة) .
40. طه ندا : الأدب المقارن . دار النهضة العربية ، بيروت ، 1975 . (239 صفحة) . أُعيدت طباعته عدة مرات .
41. نجيب العقيقي : من الأدب المقارن . ج 1 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط 1 ، 1975 . (439 صفحة) . وهذه الطبعة موسعة .
42. نجيب العقيقي : من الأدب المقارن . ج 2 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط 1 ، 1976 . (466 صفحة) . وهي كذلك موسعة .
43. نجيب العقيقي : من الأدب المقارن . ج 3 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط 1 ، 1976 . (320 صفحة) . موسعة أيضاً .
44. إبراهيم عبد الرحمن محمد : الأدب المقارن بين النظرية والتطبيق . القاهرة ، 1976 . (222 صفحة) . نظري وتطبيقي . وقد أُعيدت طباعته عدة مرات مع بعض التعديلات في العنوان والمضمون .
45. عبد المنعم إسماعيل : نظرية الأدب ومناهج البحث الأدبي . الناشر العربي ، القاهرة ، 1977 .
46. محمد غنيمي هلال : الموقف الأدبي . دار العودة ، بيروت ، 1977 .

47. بديع محمد جمعة : دراسات في الأدب المقارن. دار النهضة العربية ، بيروت، 1978. (317 صفحة). طُبع مرة ثانية في الدار نفسها عام 1980 مع بعض التعديلات والإضافات وجاء في 392 صفحة ، ومعظمه دراسات تطبيقية.
48. حسين مجيب المصري : في الأدب الشعبي الإسلامي المقارن . مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، 1980 . 351 صفحة.
49. مناف منصور : مدخل إلى الأدب المقارن . سعيد عقل وبول فاليري . منشورات مركز التوثيق والبحوث، بيروت، 1980 . 290 صفحة.
50. حسام الخطيب : الأدب المقارن ، ج 1 : في النظرية والمنهج . جامعة دمشق، 1981 . 191 صفحة.
51. الأدب المقارن، ج 2 : تطبيقات في الأدب العربي المقارن، جامعة دمشق، 1981. (175 صفحة) . وقد أُعيدت طباعة هذا الكتاب مرات عديدة.
52. أحمد كمال زكي : الأدب المقارن. مؤسسة كليوباترا، القاهرة ، ط 1 ، 1981.
53. عبد المنعم إسماعيل : نظرية الأدب ومناهج الدراسات الأدبية . ج 1 ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، 1981 . 164 صفحة.
54. عبد الدايم الشوا : في الأدب المقارن . دراسة تطبيقية مقارنة بين الأدبين العربي والإنجليزي . دار الحداثة ، بيروت ، 1982 . 159 صفحة من القطع الصغير.

55. محمد ألتونجي : دراسات في الأدب المقارن . منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1982 . 305 صفحات.
56. ريمون طحّان ، دينيز بيطار طحّان : وصية المقارن : البيان الكوزموبوليتي . دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1982 . (270 صفحة) . وطُبع عام 1987 دون إضافة.
57. إبراهيم عبد الرحمن محمد : النظرية والتطبيق في الأدب المقارن . دار العودة، بيروت، 1982 . 222 صفحة.
58. عبد الوهاب علي الحكمي : الأدب المقارن . دراسة في العلاقة بين الأدب العربي والآداب الأوربية . مطبوعات تهامة ، الكتاب الجامعي (19) ، جدة ، السعودية ، 1983 . (129 صفحة) ، وهو مجموعة مقالات تطبيقية.
59. عدنان محمد وزّان : مطالعات في الأدب المقارن . الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة ، 1983 . (196 صفحة) ، نظري وتطبيقي.
60. محمد زكي العشماوي : دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن . دار النهضة العربية، بيروت ، 1983 . (321 صفحة) ، معظمه تطبيقي.
61. محمد إسماعيل شاهين : في الأدب المقارن . (القاهرة) ، 1983 .
62. أحمد درويش : الأدب المقارن . النظرية والتطبيق . مكتبة الزهراء ، القاهرة، 1984 . (205 صفحات) معظمه تطبيقي . وقد أُعيدت طباعته عدة مرات.

63. داود سلوم : دراسات في الأدب المقارن التطبيقي . وزارة الثقافة والإعلام (سلسلة دراسات 354) دائرة الشؤون الثقافية والنشر ، دار الحرية ، بغداد ، 1984 . 365 صفحة.
64. علي أحمد العريني : ظاهرة التأثير والتأثر في الأدب العرب . دراسات جديدة في الأدب المقارن . مكتبة الخريجي ، الرياض ، دون تاريخ ، (162 صفحة)
65. أحمد كمال زكي: الأدب المقارن. دار العلوم ، الرياض ، ط 1 ، 1984 . (165 صفحة من القطع الصغير) ، نظري وتطبيقي.
66. شفيق البقاعي: الأنواع الأدبية : مذاهب ومدارس في الأدب المقارن. مؤسسة عزالدين ، بيروت ، 1985 . 432 صفحة.
67. مبارك حسن الخليفة : في الأدب والأدب المقارن . دراسة وتطبيق . سلسلة آفاق المعرفة (17) ، دار الهمداني ، عدن ، (1985) . (78 صفحة من القطع الصغير.
68. السيد العراقي : الأدب المقارن منهجاً وتطبيقاً . دار الفكر العربي، القاهرة ، 1985 . 192 صفحة.
69. أعمال الملتقى الدولي حول الأدب المقارن عند العرب . عنابة 14 – 19 ماي 1983 . وزارة التعليم والبحث العلمي، جامعة عنابة ، معهد اللغات والآداب، ديوان المطبوعات الجامعية ، الساحة المركزية بن عكنون ، الجزائر ، 1985 . 537 صفحة.

70. محمد غنيمي هلال : دراسات أدبية مقارنة . دارنهضة مصر ، الفجالة ، القاهرة، 1985 . 119 صفحة.
71. عز الدين المناصرة : بيان الأدب المقارن : إشكالية الحدود . منشورات الجمعية الثقافية (حوار) 1985 . (40 صفحة من القطع المتوسط .
72. زهران محمد جبر عبد الحميد : في الأدب المقارن . (دار البيان ، القاهرة ، 1985 ، (264 صفحة) ، نظري وتطبيقي .
73. حسين مجيب المصري : بين الأدب العربي والفارسي والتركي . ((دراسات في الأدب الإسلامي المقارن)) . مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1985 . (557 صفحة) . تطبيقي .
74. محمود طرشونة : مدخل إلى الأدب المقارن وتطبيقه على ألف ليلة وليلة . تونس، 1986 . (168 صفحة من القطع المتوسط) . نظري وتطبيقي . وله طبعة ثانية في بغداد عام 1987 .
75. رجاء عبد المنعم جبر : الأدب المقارن بين النظرية والتطبيق . مكتبة الشباب ، القاهرة ، 1986 .
76. سعيد علوش : إشكالية التيارات والتأثيرات في الوطن العربي . دراسة مقارنة . المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1986 . 224 صفحة .
77. سعيد علوش : مكونات الأدب المقارن في العالم العربي . الشركة العالمية للكتاب ، بيروت ، وسوشبريس ، الدار البيضاء ، 1987 . (830 صفحة .

78. سعيد علوش : مدارس الأدب المقارن . دراسة منهجية . المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1987. (344 صفحة) ، نظري.
79. عبد المطلب صالح : مباحث في الأدب المقارن .وزارة الثقافة والإعلام ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1987 . (173 صفحة) ، نظري وتطبيقي.
80. الطاهر أحمد مكي : الأدب المقارن . أصوله وتطوره ومناهجه . دار المعارف ، القاهرة ، 1987 . (692 صفحة) . نظري.
81. عبد المطلب صالح : موضوعات عربية في ضوء الأدب المقارن . الموسوعة الصغيرة (288) ، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1987. 131 صفحة من القطع الصغير.
82. الطاهر أحمد مكي : في الأدب المقارن . دراسات نظرية وتطبيقية . دار المعارف ، القاهرة ، 1988 . (327 صفحة من القطع المتوسط) . له طبعات عديدة.
83. عز الدين المناصرة : مقدّمة في نظرية المقارنة . دار الكرمل ، عمّان ، الأردن ، 1988. 297 صفحة.
84. حلمي بدير : بحوث تجريبية في الأدب المقارن . الدار الفنية ، القاهرة ، 1988. 151 صفحة.
85. عطية عامر : دراسات في الأدب المقارن . مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1989. 194 صفحة.

86. محمد السعيد جمال الدين : الأدب المقارن . دراسات تطبيقية في الأدبين العربي والفارسي . دار ثابت ، القاهرة ، 1989 . 405 صفحات
87. نبيل رشاد نوفل : الأدب المقارن . قضايا ومشكلات . منشأة المعارف ، الاسكندرية ، 1989 . 125 صفحة .
88. رجاء عبد المنعم جبر: تاريخ الأدب المقارن . المبادلات الأدبية بين الأمم . مكتبة الشباب، (القاهرة) ، 1986 . (127 صفحة) . عدة طبعات .
89. شفيق السيد : فصول من الأدب المقارن . دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1990 . (199 صفحة) . وقد أعادت هذه الدار نشره ثانية عام 2000 .
90. أحمد شوقي عبد الجواد رضوان : مدخل إلى الدرس الأدبي المقارن . دار العلوم العربية ، بيروت ، لبنان ، 1990 . (232 صفحة) .
91. صابر عبد الدايم : الأدب المقارن . دراسات في الظاهرة والمصطلح والتأثير . القاهرة ، 1990 .
92. عبد الغفور الأسود : مدخل إلى الأدب المقارن . جامعة الأزهر ، كلية اللغة العربية ، 1990 . (216 صفحة) .
93. عبد الواحد علام : مدخل إلى الأدب المقارن . مكتبة الشباب، القاهرة ، 1990 . (194 صفحة) . طبعة ثانية عام 1998 مع إضافات 232 صفحة .
94. محمد زكريا عناني وسعيدة رمضان : مدخل لدراسة الأدب المقارن . الاسكندرية ، 1990 (طبعة جامعية بالآلة الكاتبة) .

95. مجدي وهبة : الأدب المقارن ومطالعات أخرى . مكتبة لبنان ، الشركة المصرية العالمية للنشر _ لونجمان ، 1991. (110 صفحات من القطع المتوسط) .

96. عبد العزيز قلقيلة : مقالة الأدب المقارن . دار المعارف ، مصر ، 1991. (117 صفحة من القطع المتوسط) . وأعدت دار المعارف نشره مرة ثانية عام 1999.

97. (الجمعية المصرية للأدب المقارن) : الأدب المقارن في العالم العربي . الكتاب السنوي 1991 . الدار العربية ، القاهرة ، 1991. (226 صفحة : 97 صفحة باللغة العربية ، و 129 صفحة باللغة الفرنسية والإنجليزية .

98. أعمال الملتقى الأول للمقارنين العرب حول موضوع الأدب المقارن عند العرب : المصطلح والمنهج . عنابة من 8 إلى 12 جويليه (تموز) 1984 . جامعة عنابة ، معهد اللغة والأدب العربي . ديوان المطبوعات الجامعية ، الساحة المركزية _ بن عكنون _ الجزائر 1991. (208 صفحات باللغتين العربية والفرنسية .

99. عبده عبود : الأدب المقارن . مدخل نظري ودراسات تطبيقية . منشورات جامعة البعث (حمص) ، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، 1991-1992. (488 صفحة .

100. حسام الخطيب : آفاق الأدب المقارن عربياً وعالمياً . دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق ، ط 1، 1992. (271 صفحة) . وقد أعاد الدكتور

- الخطيب طباعة هذا الكتاب مرة ثانية في عام 1999 ، مع بعض التعديلات والإضافات.
101. محمد جلاء إدريس : قضايا الأدب المقارن في إطار الدراسات السامية . المركز القومي للدراسات العربية والإسلامية (فجر) ، الجيزة ، 1992 . (163 صفحة).
102. سعد أبو الرضا : البنية الفنية والعلاقات التاريخية . دراسة في الأدب المقارن . منشأة المعارف ، الاسكندرية ، 1993 . (231 صفحة) ، نظري وتطبيقي .
103. غسان السيد : الحرية الوجودية بين الفكر والواقع . دراسة في الأدب المقارن . مطبعة زيد بن ثابت ، (دمشق) ، (1994) ، (175 صفحة) ، وفيه قسم نظري .
104. الطاهر أحمد مكي : مقدّمة في الأدب الإسلامي المقارن . عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، (القاهرة) ، 1994 . (464 صفحة).
105. علي شلش : الأدب المقارن بين التجربتين الأمريكية والعربية . دار الفيصل الثقافية ، الرياض ، 1995 . (192 صفحة)
106. حسن بن فهد الهويمل : المثاقفة والأسلمة . دار المسلم ، الرياض ، 1995 . (80 صفحة).
107. علي عشري زايد: الدراسات الأدبية المقارنة في العالم العربي . مكتبة الشباب ، جامعة القاهرة ، ط2 ، 1997 .

108. فخري أبو السعود : في الأدب المقارن ومقالات أخرى . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة) 1997 ، (الألف كتاب الثاني 278) . (426 صفحة) .
109. عز الدين المناصرة : المثاقفة والنقد المقارن . منظور إشكالي . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1996 . (349 صفحة) .
110. غسان السيد: دراسات في الأدب المقارن والنقد . مطبعة زيد بن ثابت ، (دمشق) ، 1996 . (151 صفحة) . نظري وتطبيقي .
111. حسام الخطيب: الأدب والتكنولوجيا وجسر النصّ المفرّع Hypertext المكتب العربي لتنسيق الترجمة والنشر، دمشق _ الدوحة ، 1996 . (221 صفحة) .
112. يوسف بكّار، خليل الشيخ: الأدب المقارن . منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان ، الأردن ، 1996 . (272 صفحة، من القطع الكبير)
113. محمد التونجي: الآداب المقارنة. دار الجيل، بيروت ، 1995 . (256 صفحة) .
114. عبد الحميد إبراهيم : الأدب المقارن من منظور الأدب العربي . مقدّمة وتطبيق . إصدار نادي المنطقة الشرقية الأدبي ، الدمام ، السعودية ، ط 1 ، 1997 . (168 صفحة) .

115. عبد الحميد إبراهيم : الأدب المقارن من منظور الأدب العربي .
مقدّمة وتطبيق . دار الشروق ، القاهرة - بيروت ، ط 1 ، 1997 . (245
صفحة) ، نظري وتطبيقي .
116. رفعت زكي محمود عفيفي: بحوث في الأدب المقارن. دار الطباعة
المحمدية القاهرة، 1997. (339 صفحة) ، نظري وتطبيقي .
117. وليد محمود خالص : أوراق مطوية من تاريخ الأدب المقارن في
الوطن العربي . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1997 .
118. عبد الحميد هنداوي : رسالة الأدب المقارن . (القاهرة) 1997 .
184 صفحة .
119. الجمعية المصرية للأدب المقارن (: قضايا الأدب المقارن في
الوطن العربي _ أعمال المؤتمر الدولي ، مركز الدراسات اللغوية والأدبية
المقارنة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، 20 - 22 ديسمبر 1995 . تحرير
أحمد عثمان ، القاهرة ، 1998 . (938 صفحة : 563 صفحة باللغة
العربية و 375 صفحة باللغات الأجنبية .
120. حلمي بدير : الأدب المقارن . بحوث ودراسات . عامر للطباعة
والنشر ، المنصورة ، 1998 . (360 صفحة .
121. داود سلوم : من آفاق الأدب المقارن . عالم الكتب للطباعة والنشر
والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1998 . (414 صفحة) ، نظري وتطبيقي .
122. عبد الحكيم حسان : الأدب المقارن والتراث الإسلامي . دراسة
مقارنة في موضوع أخلاق الطبقة الحاكمة في الأدبين العربي والفارسي .

- مكتبة الآداب ، القاهرة ، (1998) . (256 صفحة) ، تطبيقي . وأعيد نشره في الدار نفسها عام 2000 دون تعديل .
123. حسام الخطيب: آفاق الأدب المقارن عربياً وعالمياً. دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط2، 1999.
124. عبده عبود : الأدب المقارن . مشكلات وآفاق . اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999 . (238 صفحة).
125. محمد زكريا عناني : الأدب المقارن وقضايا التأثير والتأثير . دار كريدية ، بيروت ، 1999 . (400 صفحة).
126. محمد جلاء إدريس : الأدب المقارن . قضايا وتطبيقات. دار الثقافة العربية ، القاهرة ، 2000 . (342 صفحة).
127. ماجدة حمود : مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن . دراسة . اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2000 . (159 صفحة) . معظمه تطبيقي .
128. عبده عبود ، ماجدة حمود ، غسان السيد : الأدب المقارن . مدخلات نظرية ونصوص ودراسات تطبيقية . جامعة دمشق ، 2000 - 2001 ، (474 صفحة)
129. حسين مجيب المصري : صلات بين العرب والفرس والترک . دراسة تاريخية أدبية . (دراسة في الأدب المقارن) . الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، 2001 . (259 صفحة)
130. نجم عبد الله كاظم : في الأدب المقارن . مقدّمات للتطبيق . دار أسامة ، عمان ، الأردن ، 2001 . (103 صفحات) ، نظري وتطبيقي .

131. حلمي بدير: الأدب المقارن. بحوث ودراسات. دار الوفاء، الاسكندرية، 2001. (373 ص)
132. حسام الخطيب : الأدب العربي المقارن : واجهات وعلاقات . المكتب العربي للترجمة والنشر، الدوحة، 2001.
133. حسام الخطيب : الأدب المقارن من العالمية إلى العولمة . المجلس الوطني للثقافة والفنون، الدوحة، قطر، 2001. (320 صفحة).
134. أحمد عبد العزيز: نحو نظرية جديدة للأدب المقارن. ج1: البحث عن النظرية. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 200.
- ج2 : استراتيجيات المقارنة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2002.
135. أحمد درويش : نظرية الأدب المقارن وتجلياتها في الأدب العربي . دار غريب، القاهرة، 2002.

الكتب باللغة الأجنبية:

136. Adrian Marino, Comparatisme et théorie de la littérature, Presses universitaires de France, 1988.
137. Anna Balakian, influence and literary fortune :the Equivocal Juncyion of the two Methods, Yearbook of Comparative and General Literature, 11 (1962).
138. Claude Pichois et André-M. Rousseau, La littérature La Litterature comparé. Paris, Armand Colin, 1967.

- 139.Haskell M. Block, The Concept of Influence in Comparative Literature, " Yearbook of Comparative and General Literature, VII (1958).
- 140.M. F. Guyard, La Littérature comparée, Paris : P.U.F, 5e éd, 1969.
- 141.Pierre Brunel, Claude Pichois et André-Michel Rousseau, Qu'est-ce que la littérature comparée, Paris, Armand Colin, (coll. « U ») 1983. 2. Fernand.
- 142.Ulrich Weisstein, Comparative Literature and Literary Theory,Bloomington, Indiana University Press ,1968.

الفحوى

الصفحة	عنوان المحاضرة	الرقم
01	مقدمة	
08	نشأة الأدب المقارن (الجذور والاصطلاح)	1
19	عوامل نشأة الدرس المقارن في فرنسا	2
24	أرضية معرفية لمفهوم الأدب المقارن	3
29	المدرسة الفرنسية وسلطة الوعي القومي (المنهج التاريخي)	4
40	الأزمة وإرهاصات المدرسة الأمريكية	5
53	المدرسة السلافية وسلطة الوعي الاجتماعي (المنهج السوسولوجي)	6
59	الأدب المقارن والأدب العام	7
67	مفاهيم التأثير والتأثير	8
79	خاتمة	9
82	بيبلوغرافيا شاملة في الأدب المقارن	10
104	الفهرس	11